٢٨

جيكو ..

ابن العصر الجليدي

عبد الغفور نعمه



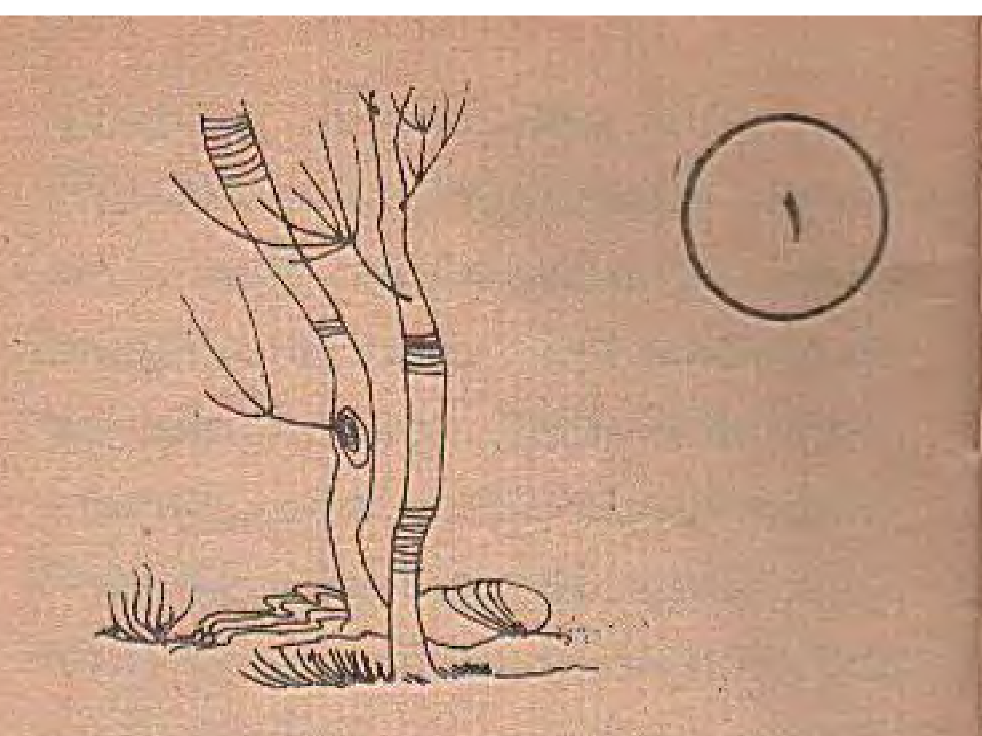


ابن العصر الجليدي

عبد الغفور نعمه

الغلاف والصور الداخلية : فاضل طعمة

الخطوط : عبدالرزاق حمودي



منذ مليون سنة ، تبدل مناخ الارض ، وخلال مئات السنين اخذ الشتاء يزداد برودة ورطوبة ، بينما صار الصيف اقصر واقل حرارة ، وبدأ بذلك العصر الجليدي الكبير . وبسبب البرودة القارسة ، اختفت السهول المنبسطة شمال الكرة الارضية ، وحلت محلها الغابات الصنوبرية . ولقد ادى ذلك الى هجرة الحيوانات التي كانت تقتات على اعشابها ، مثل الفهود والفيلة وبنات

أوى والضباع ، التي قصدت المناطق الدافئة ، وحلت محل حيوانات السهول ، حيوانات الغابات ، مثل الايل المتشعب القرون والموظ الخالي والسنوريات المسيفة النابين • وتكونت المجلدات ، بسبب تساقط الثلج طوال فصل الشتاء وتكدسه على قمم الجبال الشاهقة والمرتفعات بالاضافة الى عجز فصل الصيف الذي قلت حرارته من اذابته ، وازداد سمك الجليد ، بسبب تزايد سقوط الثلج ، فاختفت من السهول المنخفضة الاشجار والنباتات بمعظم انواعها ، وحلت محل الغابات الكثيفة الواسعة، احراش صنوبرية صغيرة ، مما تسبب في هلاك حيوانات الغابات ، التي لم ينج منها الا من احتمت من البرد بلجوئها للكهوف او هجرتها الى الوديان التي كانت اكثر دفئا •

وبدأت المجلدات تزحف من قمم الجبال والمرتفعات الى الاراضي الاقل ارتفاعا ، وكانت بسبب الصخور الكبيرة المدفونة فيها ، تكشط الاودية ، وتطحن قمم الجبال الشاهقة فتسويها ، وتقتلع الصخور الضخمة،

وتكتسحها معها كما لو كانت حجارة صغيرة • وكانت الواحدة منها تحشر في وادي جبلي ، فتحفر لها مجرى ذا حافات حادة عالية ، وتسوي ارضه ، فتكون نهرا ضيقا عميقا متعرجا ينتهي ببحيرة تجمع ماؤها بذوبان تلك المجلدة بعد انتهاء العصر الجليدي •

واكتسحت المجلدات في أوروبا وامريكا الشمالية حيث انتشرت بكثرة ، وهي تزحف في طريقها، غابات الصنوبر ، وحولت ارضها الى سهول جرداء واسعة سميت فيما بعد بمناطق التندرة ، حيث عاشت على شجيراتها وطحالبها واشناتها ، حيوانات كانت تحتمل البرد القارس ، مثل الماموث وثيران المسك والبيسو ، التي حلت محل السنوريات المسيفة النابين ، والايل الطويل اليديع والكسلان الضخم ، تلك الحيوانات التي هاجرت الى الجنوب طلبا للدفء •

وبعد قرون كانت سهول التندرة الجرداء فيأوروبا ، تعج بالايل الذي تشبه قرونه المجرفة ، والماموث الوبري

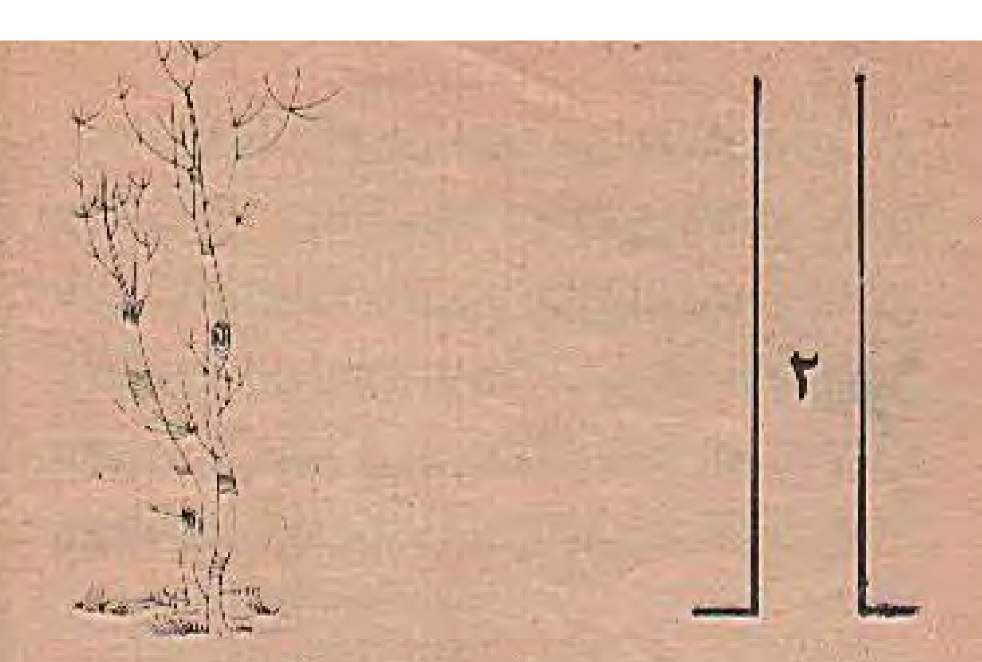
الضخم ،والكركدن الخرتيت ذي القرنين والوبرالكثيف، والخنزير الوحشي ، ودب الكهوف العملاق ، والحصان القزم الخشن الوبر ، والذئب والثعلب • وبسبب زحف الجليد تجمدت بلايين الاطنان من المياه واصبحت هي الاخرى كتلا جليدية ، فادى ذلك الى انخفاض منسوب المياه في المحيطات ، وجفت مساحات واسعة من قعر البحر • وبعد ملايين السنين التي ظلت فيها الجزر والقارات منفصلة عن بعضها ، ربطتها جسور ارضية، ومنها الجسر الارضي الذي ربط شمال اسيا بأمريكا وهو ما يسمى اليوم ممرات «بيرنغ» •

وعبر هذا الجسر الارضي هاجر الحيوان والبشر من اسيا الى أمريكا ، ومن أمريكا الى اسيا • ومن الحيوانات التي هاجرت من اسيا الى أمريكا الدب والماموث الوبري وثيران المسك الشعثاء، والبيزون والنمر السيف النابين • ومن الحيوانات التي هاجرت من أمريكا الى اسيا الجمل والوشق والحصان •

هكذا كانت الارض عندما عبر الانسان لاول مرة من اسيا الى امريكا جماعات من الصيادين تطارد قطعان الحيوان وقبائل عضها الجوع لهجرة الحيوانات من اراضيها عبر الممر الى امريكا • وعن مثل هؤلاء الناس الذين كانوا ينتمون الى ما اصطلح علماء التاريخ على تسميته بالانسان « النياندرتالي » تدور قصتنا هذه •



٢



كانت الشمس الشاحبة بسبب الضباب البـــارد توشك على الغروب · ووقف الصبي « جيكو » الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره مع اخته « تاكي » التــي كانت تصغره بعامين عند باب الكهف في انتظار والدهم الذي خرج منذ الصباح الباكر مع بقية رجال القبيلــة للصيد · كان جيكو يرتدي ازارا قصيرا مصنوعا من جلد الثعلب ، والقسم الاعلى من جسمه عاريا ، وكان شعره

وقف « جيـــكو » مع اختــه « تاكي » عند باب الكهــف

الاشقر طويلا يمتد حتى صدره الذي كانت تزينه قلادة من انياب الذئب •

وكذلك ناكي فقد كانت ترتدي هي الاخرى ازارا جلديا قصيرا يغطي الجزء الاسفل من جسمها ، واما صدرها فكان عاريا من قلادة القواقع الحلوزونية • وكان شعرها الاشقر طويلا مشوشا •

كان جيكو وناكي مثل بقية اطفال قبيلتهم الصغيرة ، جياعا جدا ، وذلك لان الصيد في مناطقهم بات نادرا ، وكان ما اكثر الايام التي ينطلق فيها رجال قبيلتهم منذ الصباح الباكر ليعودوا عند الغروب بدون اية طريدة • ومعنى هذا ان ينام الجميع الذين عانوا طوال النهار من الجوع بدون طعام •

كانت امهما تحيك جلد الايل الذي صاده ابوهما منذ اسبوع بمحيكة مصنوعة كمعظم ادواتهم المنزلية الاخرى من الحجر •

وكانت ترتدي ازارا قصيرا من جلد الغزال ، بينما

كان صدرها الذي تزينه قلادة من القواقع البيضـــاء مكشوفا تماما •

وبعد قليل بدأ جيكو واخته بالصياح فرحا ، وذلك عندما شاهدا رجال القبيلة عائدين من الصيد من بعيد فانضم اليهما بقية الاطفال الذين اقعدهم الجوع في الكهف حارما اياهم من اللعب الذي كانوا في ايام وفرة الصيد في الماضي يمارسونه بدون انقطاع • ولكن الاطفال مافتئوا ان كفوا عن صياحهم وتهليلهم ، بعد ان اقترب اباتهم اكثر ، وتبينوا انهم قد عادوا خالين الوفاض ، من غير طريدة تذكر • وسرعان مافهمت النساء داخل الكهف ذلك فخرجن وقد خيم عليهن الوجوم •

وعندما وصل الرجال الذين كان يبدو عليهم الارهاق والحزن مدخل الكهف ، افسح لهم النساء والاطفال الطريق ، فدخلوا الى الكهف ، ورموا برماحهم الخشبية وفؤوسهم الحجرية جانبا ، وتمددوا على

ارض الكهف وقد هدهم التعب •

حانت من « بوزو » والد جيكو ، التفاتة لكاهنهم العجوز الذي كان يرسم صورة حصان مخطط على جدران الكهف ، فنهض واتجه اليه • كان الكاهن يرتدي جلد دب كهوف بني ويضع على راسه تاجا من قرون الايل الكبيرة ، ويعلق في رقبته عشرات القلائد المصنوعة من القواقع وانياب الحيوانات المختلفة • واما وجهه فكان منقوشا بالوان متعددة •

حيا والد جيكو الكاهن باحترام وقال له : لافائدة من رسومك ياسيدي الكاهن • لم نصادف خلال رحلة صيدنا هذا اليوم لا حتى ولا ارنبا صغيرا •

التفت اليه الكاهن غاضبا وصاح فيه : « لا تتكلم هكذا ايها الرجل ! ان هذا كفر ! لقد ظل قومنا منذ الاف السنين يرسمون الحيوانات على جدران كهوفهم تيمنا بوفرة الصيد • »

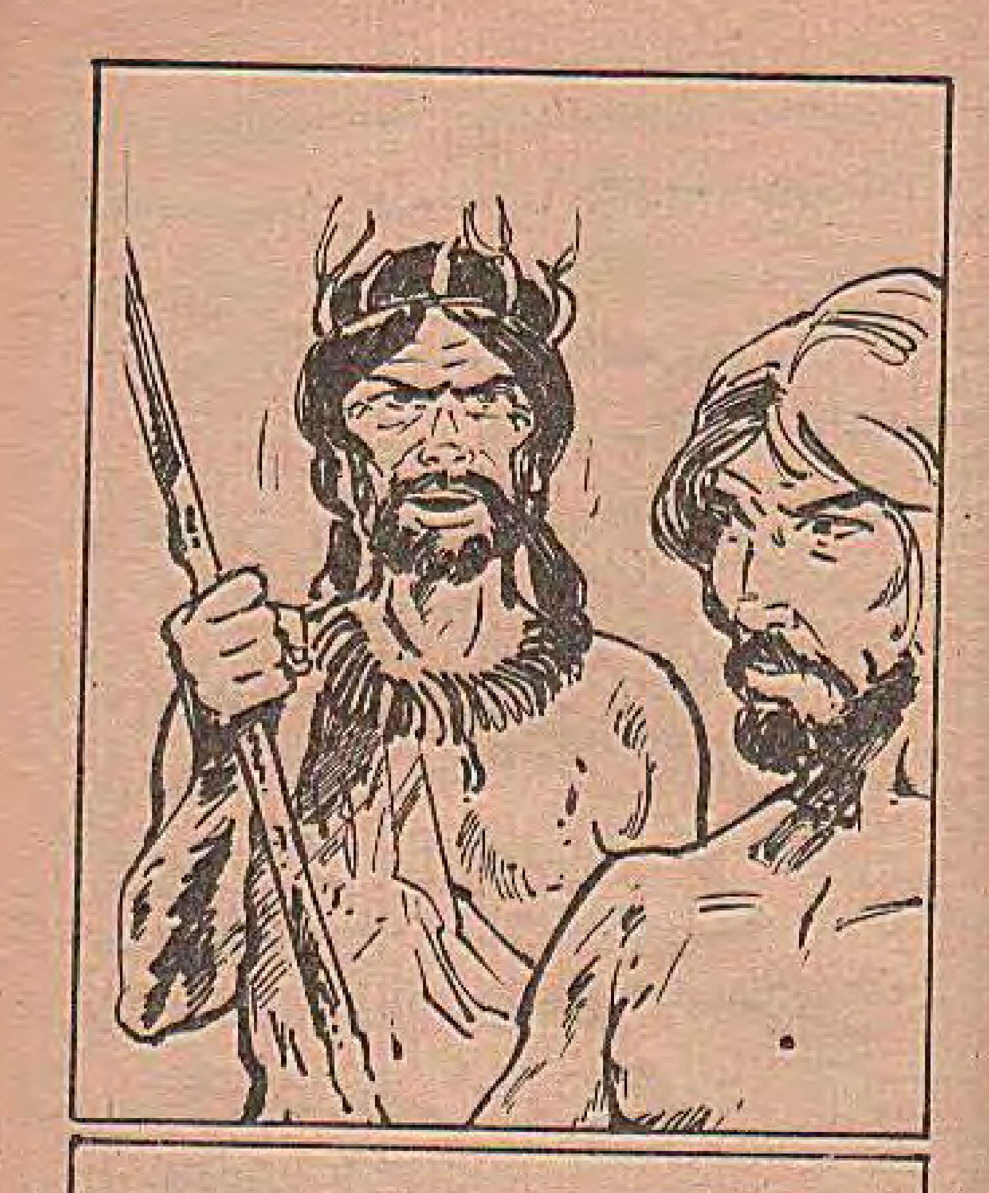
قال بوزو : « ارجو المعذرة والغفران ياسيدي

الكاهن ، ولكنك تعلم ان تساقط الثلج المتزايد والبرودة القارسة قد دفعت بالحيوانات الى الهجرة من مناطقنا عبر الممر العظيم الى العالم الثاني . »

رد عليه الكاهن : « انا اعلم ذلك . ولكنكم ، انت وبعض رجال قبيلتنا بدائم تشكون بقدرة الاله الابيض على توفير الرزق لنا ، وهذا منتهى الكفر ! الاتعلمون ان اساطيرنا تقول انه منذ الاف السنين ، عندما كفر اجدادنا القدماء ، وعصوا الاله الابيض ، غضب عليهم ، ولعنهم بأن ارسل عليهم من قمة جبله الشاهقة مجلداته الثلجية الهائلة ، فاكتسحت اشجار غاباتهم ، وقتلت الحيوانات التي كانوا يقتاتون عليها ، ودمرت سهولهم ووديانهم . فهل تريدون ان تحل بكم لعنته من جديد ؟»

قال يوزو : « اذا لم نتبع قطعان الحيوانات عبر الممر العظيم الى العالم الثاني ، فسنموت من الجوع لامحالة . »

صاح به الكاهن غاضبا : « اخرس ! ان كل من



ان كل من يغادر ارض اجدادنا ستحل عليه لعنتهم

يغادر ارض أجدادنا هذه ستحل عليه لعنتهم ولعنة الاله الابيض ويهلك بكل تأكيد • اين اخوك « ايلي » وعائلته اين غيره ممن عصوا اوامري ومشيئة الاله الابيض وتخلوا عن ارض اجدادنا وهاجروا الى العالم الثاني ؟ لقد هلكوا في طريقهم دون شك • »

قال بوزو متمتما بصوت خفيض : « اني لنا ان نعرف ذلك ؟ »

فنهره الكاهن واشار له بيده بعصبية بالغة آمرا اياه بالانصراف •

عاد بوزو الى احد زوايا الكهف الكبير ، حيث كان يقيم هو وعائلته • قالت زوجته « فيدا » وهي تحاول أن تساعد طفليهما الجائعين على النوم : « بوزو ، كان يجب الاتثير غضب الكاهن بكلامك • »

فرد عليها مستاء : « انت كبقية افراد قبيلتنا ، لاتدركون ما الذي يهددنا جميعا ، ولاهم لكم الا ارضاء نزوات هذا الكاهن يجب ان تفهمي موقفنا جيدا يافيدا ،

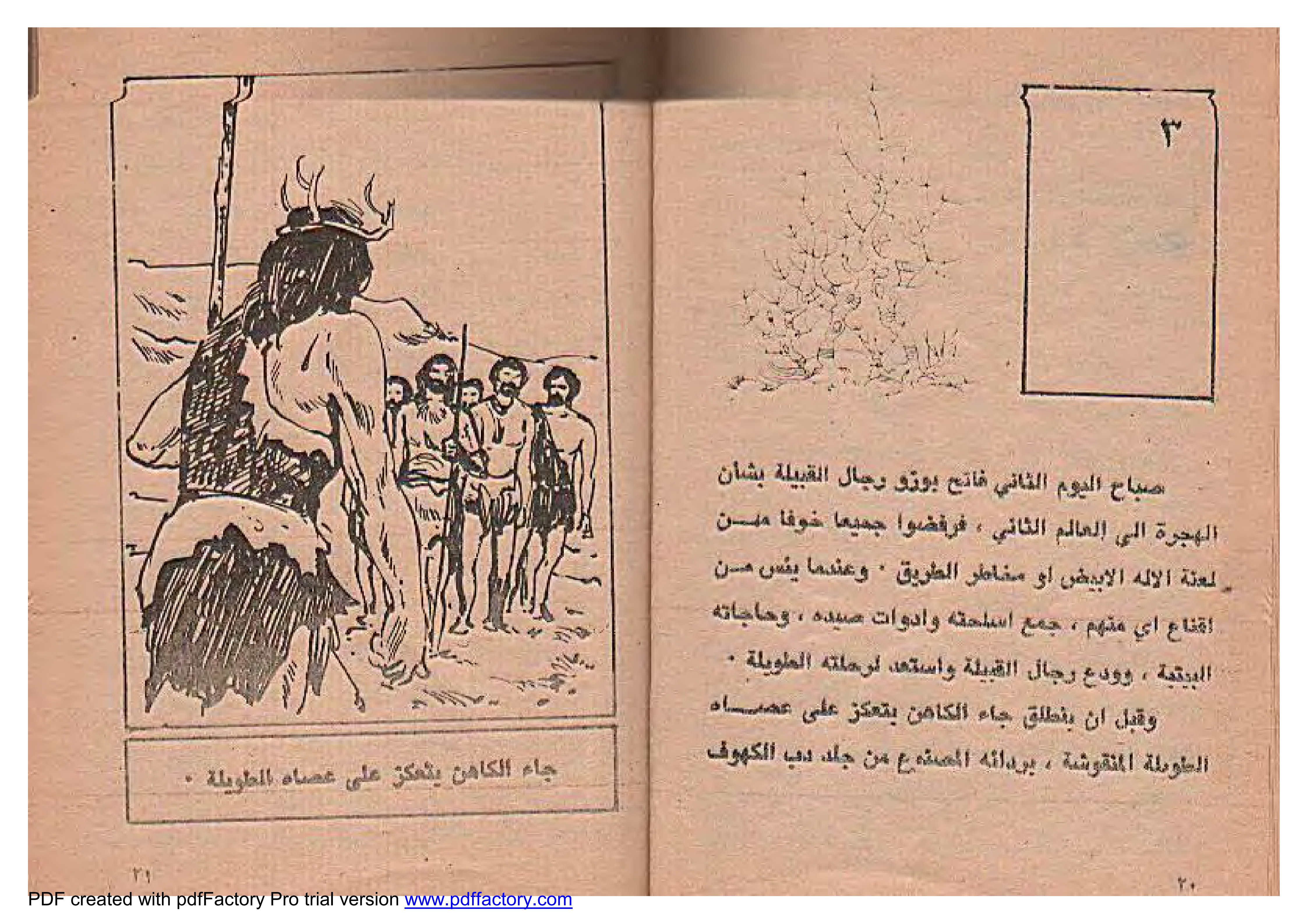
اذا لم نغادر هذه الارض ونتبع اخي ايلي الى العالـــم الثاني فسنموت من الجوع حتما . انظري الى جيكـــو وتاكي ، انهما يزدادان هزالا كل يوم . انه الجوع يافيدا ، انه الجوع الذي لايرحم . يقضي علينا جميعا ، ولا يتبقى بعدنا الارسوم حيوانات الكاهن على جدران هذا الكهف . لقد ولت الحيوانات الحقيقية دون رجعة ، فهل سنأكل الحيوانات التي رسمها الكاهن ؟ »

ردت عليه فيدا : « ولكن الهجرة ليست بالامـــر السهل يا بوزو . فبالاضافة للمخاطر التي تنتظرنا فـي الطريق ، هناك لعنة الاله الابيض التي تحل بكل من يغادر ارضـــه . »

قال بوزو : « لا اظن ان الاله الابيض يرضى لنا ان نموت من الجوع . وعلى كل حال فغدا ساكلم رجال القبيلة فادعوهم للرحيل معنا ، وسواء شاءوا الرحيـــل ام رفضوا ، سنرحل نحن مع طفلينا عبر الممر العظيم الى العالم الثاني . تصوري يافيدا ، هناك تنتظرنـــا الالف الحيوانات السمينة لنصطادها ونأكل لحومها . تمامـــا كما كانت الامور هنا في الماضي . »

وفجأة قال جيكو الذي كان يظن والده ووالدته انه نائم : « اجل يا والـــــدي ، انا اؤيدك في الرحـــيل ، وسأساعدك على صيد كل تلك الحيوانات في العالـــم الثانـــي . »





٣

صباح اليوم الثاني فاتح بوزو رجال القبيلة بشأن الهجرة الى العالم الثاني ، فرفضوا جميعا خوفا من لعنة الاله الابيض او مخاطر الطريق . وعندما يئس من اقناع اي منهم ، جمع اسلحته وادوات صيده ، وحاجاته البقية ، وودع رجال القبيلة واستعد لرحلته الطويلة .

وقبل ان ينطلق جاء الكاهن يتعكز على عصاه الطويلة المنقوشة ، بردائه المصنوع من جلد دب الكهوف

جاء الكاهن يتعكز على عصاه الطويلة .

البني ، وندجه المصنوع من قرون الايل ، فتراجع رجال القبيلة عن طريقه باحترام • وعندما وصل الكاهن الى حيث كان يقف بوزو وعائلته ، قال له بغضب : « واخيرا عصيت اوامري ، وتحديت مشيئة الاله الابيض ، وارواح اجدادنا العظيمة ، وقررت التخلي عن ارضنا ، والرحيل بعيدا الى العالم المجهول • »

فرد عليه بوزو باحترام : « ارجو ان تفهمني ياسيدي الكاهن • لو كان الامر بيدي لما عصيتك ولاخرجت على ارادة الاله الابيض وارواح اجدادنا ، ولكن المسألة بالنسبة لي ولافراد عائلتي هي قضية حياة أو موت • »

قال الكاهن : « ولم تكتف بذلك ، فرحت تغري بقية رجال القبيلة كما بلغني بان يتمردوا على ارادة الاله الابيض ويرحلوا معك • »

قال بوزو : « لم احاول ان اغريهم على ذلك ولكنني اقترحت عليهم الرحيل معي بدافع الشفقة عليهم

وعلى اطفالهم · وعلى كل حال فهم احرار في اتخاذ قراراتهم ·

والان اودعك ياسيدي الكاهن ، وانتم يا ابناء قبيلتنا واتمنى لكم الخير والتوفيق · »

وما اتم بوزو جملته حتى امسك بيد جيكو وقاده مبتعدا عن موقع الكهف تتبعه زوجته فيدا وابنتهما تاكي · ولم يبتعدوا عدة امتار حتى صاح به الكاهن بصوت يرتجف من الغضب وهو يشير بعصاه الى الجبل الشاهق الذي تكسوه الثلوج : « بوزو ، لتحل عليك وعلى افراد عائلتك لعنة الاله الابيض وارواح اجدادنا · »

وتوقف بوزو وافراد عائلته للحظة دون ان يلتفتوا وراءهم ، ثم استمروا في طريقهم مبتعدين وقد نكسوا رؤوسهم · واما فيدا فقد اجهشت بالبكاء · »

قال لها بوزو : « كفي عن البكاء يا عزيزتي فيدا · »

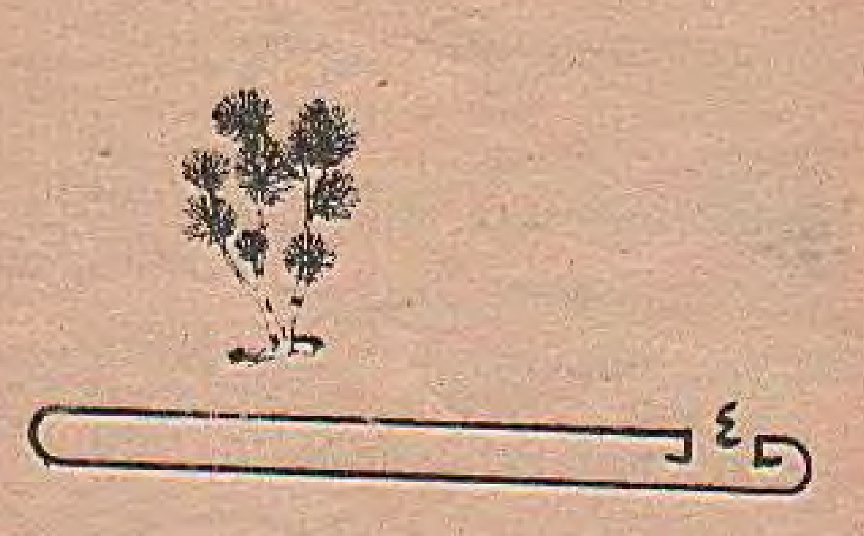
فردت عليه منتحبة : « اني متشائمة وخائفة من رحلتنا هذه · »

فقال لها بوزو : « لا تخافي سيكون كل شيء على مايرام · »

قالت وهي لاتزال تبكي : « ولكن الكاهن انزل علينا لعنة الاله الابيض وارواح اجدادنا · »

قال بوزو وهو يربت على رأسها بحنان : « ان لعنة الاله الابيض وارواح اجدادنا اهون من لعنة الجوع الذي نقاسي منه الامرين · »

★ ★ ★



اتجه بوزو وعائلته في مسيرتهم نحو الشـــمال باتجاه الممر العظيم الذي كان سيقودهم الى العالـــم الثاني . ومرت عليهم الايام وهم يسيرون في النهـــار متلفتين ذات اليمن وذات الشمال بحثا عن طريـــدة يشبعون بها جوعهم ، ولكنهم لم يصادفوا اي حيـــوان خلال ايام طويلـــة .

وفي احد الايام بينما كانوا يسيرون في احـــد

السهول التي حولها الثلج الى مساحة شاسعة بيضاء ، شاهدوا من بعيد حيوانا متوسط الحجم . ففرحوا جميعا وبداوا يحلمون بوجبة طعام شهية تسد جوعهم وتزيد قوتهم ، فتساعدهم على قطع المسافات الطويلة التي كان يجب عليهم ان يقطعوها وهم في طريق سفرهم الى العالم الثاني .

امر بوزو فيدا وتاكي ان يمكثا في مكانهما ، بينما طلب من جيكو ان يصحبه ليشاركه في صيد ذلك الحيوان . واتجها نحو الحيوان وهما يحملان رمحيهما ويتخفيان خلف الصخور التي يكسوها الثلج لئلا يلاحظهما الحيوان فيفر هاربا .

وعندما اصبحا على مقربة منه تبينوا حقيقته فقال بوزو لجيكو بصوت خافض : « انه ثور البيسون . لو اسعدنا الحظ بصيده فسنتمتع بلحم مشوي لذيذ جدا . اذ ليس هناك لحم الذ من لحم ثور البيسون المشوي ، وانا شخصيا لم اتذوق لحمه منذ سنوات طويلة ، فقد

اختفت قطعان ثور البيسون من منطقتنا منذ وقت طويل ."

قال جيكو بصوت عالي بعض الشيء : " صدقت يا والدي ، فانا منذ ولادتي لم تقع عيني على هذا النوع من الثيران . انظر الى قوائمه الطويلة وسنامه العالي ."

فوضع بوزو يده على فم جيكو قائلا بصوت خفيض : " هش ، لاترفع صوتك يا جيكو ، لئلا يسمعنا الثور ويولي هاربا ."

قال جيكو هامسا : " ارجو المعذرة يا والدي ، ولكن هل تظن انه يمكننا ان نصطاده وحدنا ، انت وانا فقط ، وبرمحينا العاديين . يخيل لي انه كبير الحجم وقوي جدا ، ومن ساقيه الطويلتين استطيع ان اقول انه سريع في جريه . ثم انظر الى قرنيه المعقوفين الحادين انهما خطران جدا ."

فرد عليه والده : " يجب على الصياد ان يكون عظيم الثقة بنفسه . هذا كما انه يجب الا يخاف اي حيوان . والمهم في عملية صيدنا لهذا الثور هو ان نفاجئه من الخلف ونغرس فيه رمحينا في منطقة قلبه في وقت واحد بحيث نقتله في الحال ، فنضرب بذلك عصفورين بحجر واحد ، فلا نعطيه فرصة للهروب جريحا ، ولانفسح له المجال لمهاجمتنا ."

قال جيكو : " حسنا ، انا مستعد لذلك ."

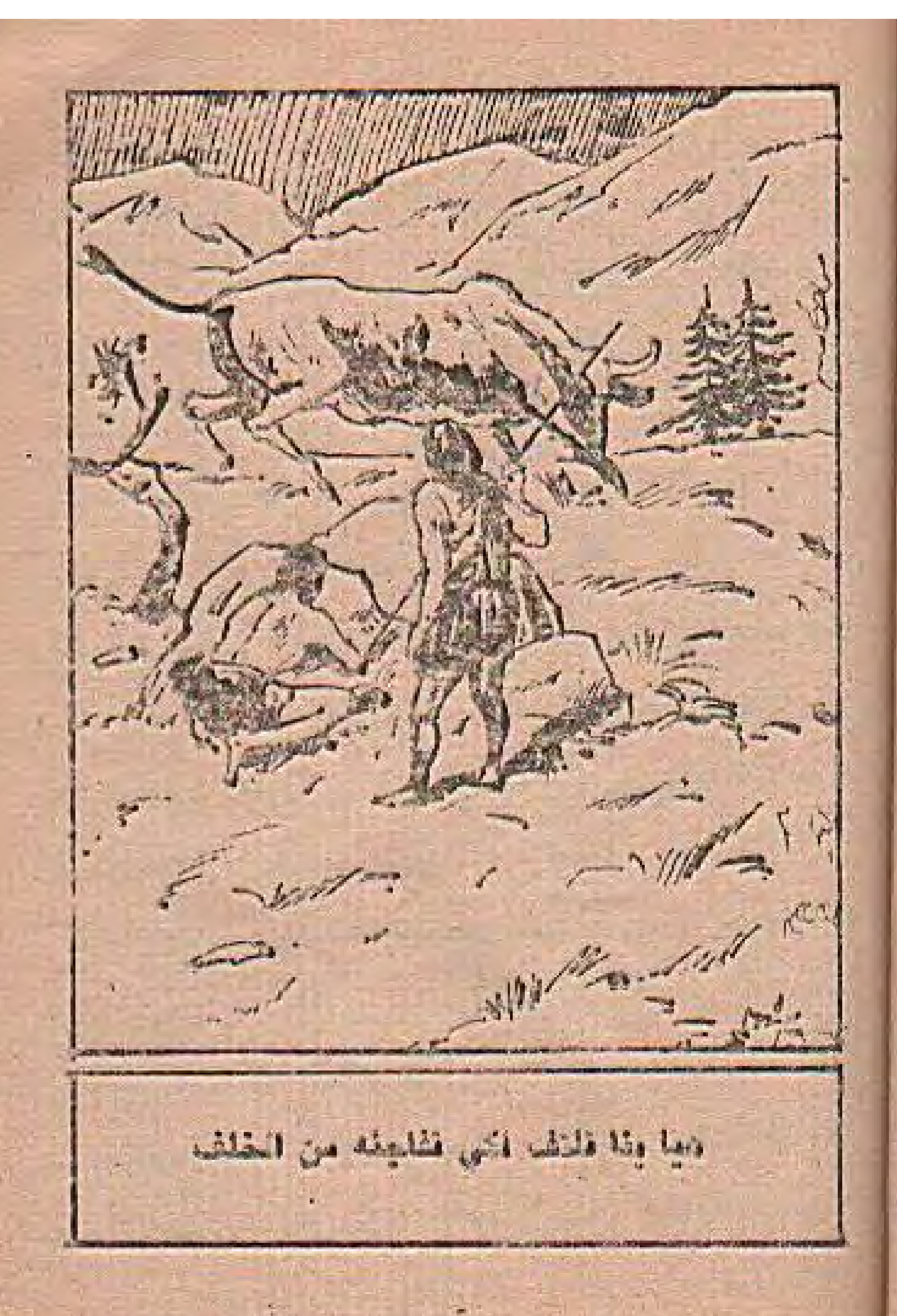
قال بوزو : " هيا بنا نلتف بحيث نفاجئه من الخلف يا ولدي ."

وبدءا بالزحف على الثلج ، متخفين وراء الصخور حتى اصبحا خلف ثور البيسون تماما ، ثم اخذا يزحفان نحوه بحذر . وعندما اصبحا قريبه تماما ، مد بوزو يده ولمس كتف جيكو ، وعندما التفت جيكو نحوه ، اشار اليه ان يستعد للهجوم . وبعد لحظة نهض بوزو وقد شهر رمحه ، وامر جيكو الذي نهض هو الاخر وشرع رمحه بالهجوم ، وانقض الاثنان على الثور من الخلف .

ولكن فجاة عثر جيكو باحدى الصخور ووقع على الثلج محدثاً صوتا كان كافيا ليتنبه اليه ثور البيسون ، ويلتفت الى الوراء ، وما احس الثور بهما الا واطلق ساقيه الطويلتين للريح · واحسا بالارض تهتز تحتهما من ضخامة الثور وثقله · ولكن ماكاد الثور يبتعد حوالي العشرين مترا حتى توقف فجاة ، واستدار ، وضرب الارض المغطاة بالثلج بقائمتيه الخلفيتين ، ثم نكس رأسه مشرعا قرنيه المعقوفين الحادين ، واندفع نحوهما مهاجما ·

وتطاير الثلج من تحت حوافره وهو يركض ويرغي ويزبد مهددا ·

واسرع بوزو الى جيكو الذي كان لايزال ممددا على الارض وساعده على النهوض ، ثم دفعه بحيث اخفاه خلف احدى الصخور ، وقفز بعيدا عن المكان الذي اخفى فيه جيكو ، وهو يلوح للثور برمحه ، محاولا ان يجعله يغير وجهة اندفاعه فيجلبه نحوه ، ويبعده عن



هيا بنا فلنذهب اخي فنأتيه من الخلف

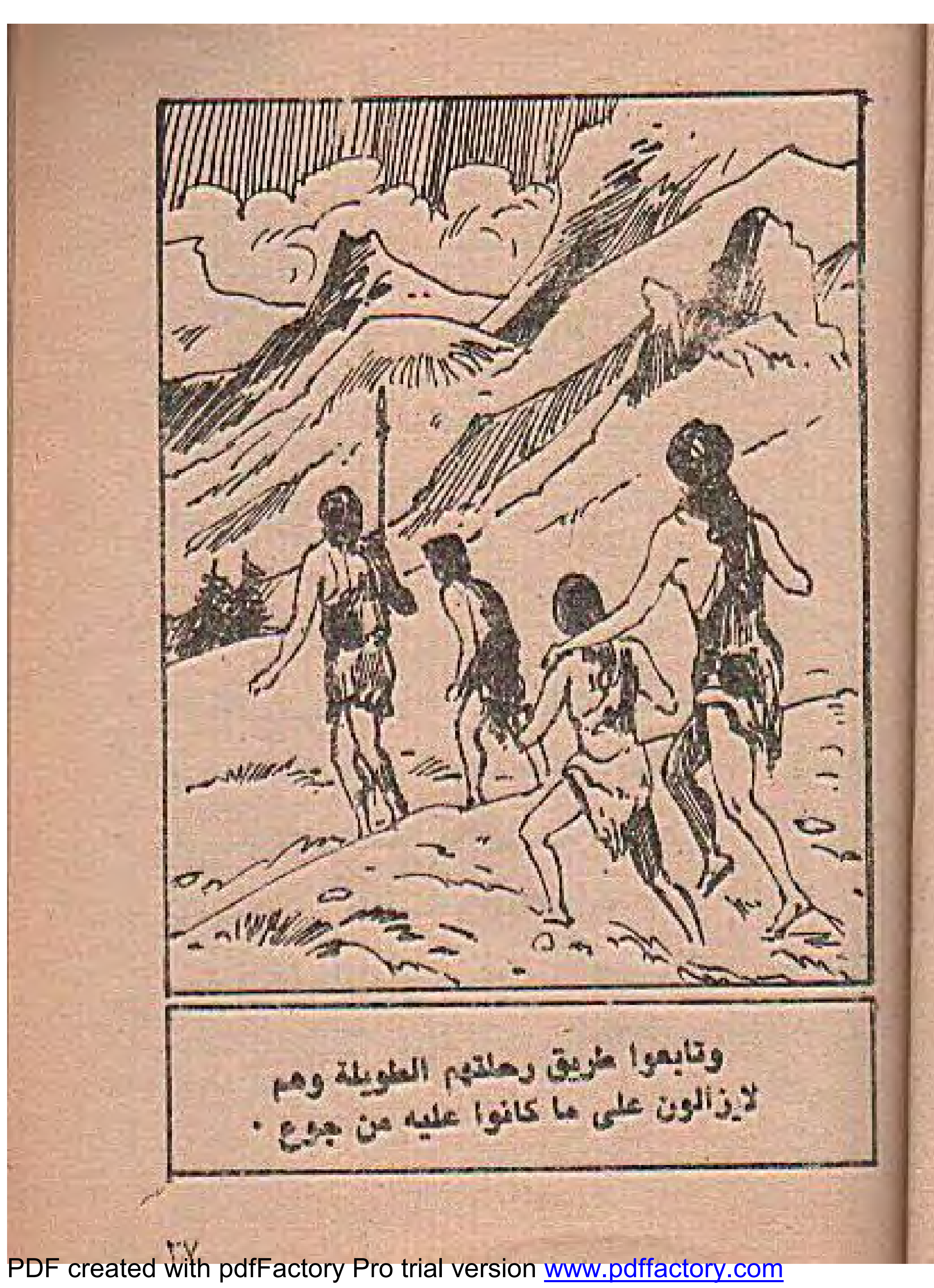
مخبأ جيكو · وبالفعل نجحت الخطة ، وغير الثـــور اتجاهه ، واندفع بكل ما اوتي من قوة وسرعة نحـــو بوزو · وفي اللحظة التي اصبح فيها الثور قاب قوسين او ادنى من بوزو ، قفز بوزو من امامه الى اليمين مبتعدا عن قرنيه اللذين لو طعناه لمزقا جسمه تمزيقا ·

واستمر الثور في اندفاعه عدة امتار ، ثم توقـف واستدار وراح يضرب الثلج بقائمتيه الخلفيتين بغضب، وهو يلهث ويزبد ، واندفع مشرعا قرنيه نحو بوزو مـن جديد ، ومرة اخرى عندما وصل اليه ، قفز بوزو بعيـدا عن طريقه ، وعندما مر الثور مندفعا الى الامام بجانبه ، طعنه برمحه طعنـــة شديدة ، فصاح الثـــور متألما ، واستمر هذه المرة بالجري دون ان يفكر بان يعاود الكرة بالهجوم على بوزو ، وولى هاربا عبر السهل الابيـــض حتى اختفى عند الافق البعيد ، ليموت من جرحه بعـــد يوم أو يومين ، فيكون طعاما للذئاب او اي حيوانـــات مفترسة سيسعدها الحظ بالعثور على جثته ·

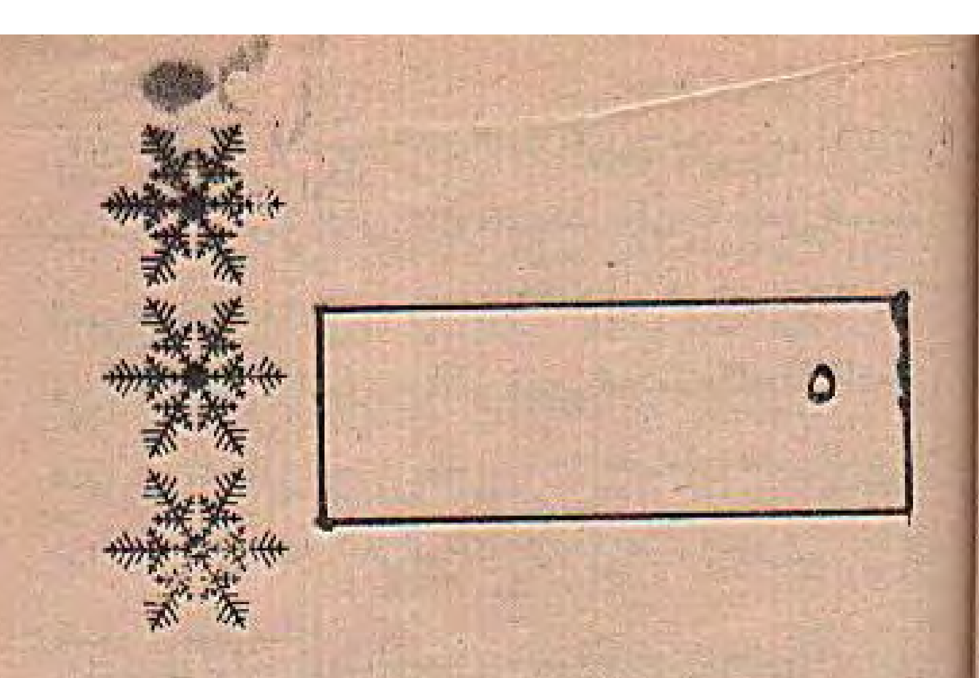
وهكذا باءت محاولة بوزو وعائلته بان يتناولوا وجبة طعام شهية من لحم ثور البيسون اللذيذ بالفشل .

وتابعوا طريق رحلتهم الطويلة وهم لايزالون على ماكانوا عليه من جوع .

★ ★ ★



وتابعوا طريق رحلتهم الطويلة وهم لايزالون على ما كانوا عليه من جوع .



استمرت عائلة بوزو تقطع السهول والوديـــان والمرتفعات الباردة دون أن يقع بصرها على اي اثــر لحيوان ٠ ولولا ذكاء وقوة ملاحظة جيكو لماتوا مــن الجوع ٠ اذ بينما كانوا يسيرون في احد الايام قاطعـــين أحد السهول التي تغطيها الثلوج السميكة ، لاحظ جيكو طرف قرن حيوان بارز من تحت الثلج ٠ فتوقف وحفــر الثلج الذي يحيط بالقرن بيده ، فوجد غزال رنة مدفونـاً

تحت الثلج . فاخبر والده الذي تعاون معه على اخراج جثة غزال الرنة الذي كان قد مات على ما يبدو من الجوع لندرة ما يقتات به من الاعشاب أو أوراق الشجر في تلك السهول الجرداء التي قضى الجليد والبرد القارس على كل اشكال الحياة فيها . ترى منذ متى قضى الجوع والبرد على هذا الغزال المسكين ؟ منذ اسبوع ؟ منذ شهر ؟ منذ سنة ؟

على كل حال كان لحم الغزال لا يزال طازجاكأنه مات قبل ساعات ، وذلك بفضل الثلج الذي كان لايحتفظ بلحم الحيوان أو الانسان الميت كما هو لسنة أولسنتين وانما لمئات السنين .

حمل والد جيكو جثة الغزال الى كهف قريب وقطعهابسكينه وفأسه الحجرية ، واحضر بعض الاغصان اليابسة واشعلها بواسطة شرارات احدثها بضربسكينه بفأسه ، وشوى بعض اجزاء الغزال ، بينما احتفظ بالاجزاء الاخرى للايام التالية .

سأل جيكو والده وهم يأكلون لحم الغزال المشوي:

«ابي ، ان هذه المناطق خالية من الحيوان تماما ، فما الذي كان يفعله هذا الغزال المسكين فيها .»

فرد عليه والده : «لعله قد عضه الجوع مثلنا ، فقرر أن يهاجر عبر الممر الى العالم الثاني ، بحثا عن الطعام . ولكن الجوع والبرد القارس لم يمهله حتى يصل الى هدفه ، فمات في الطريق » .

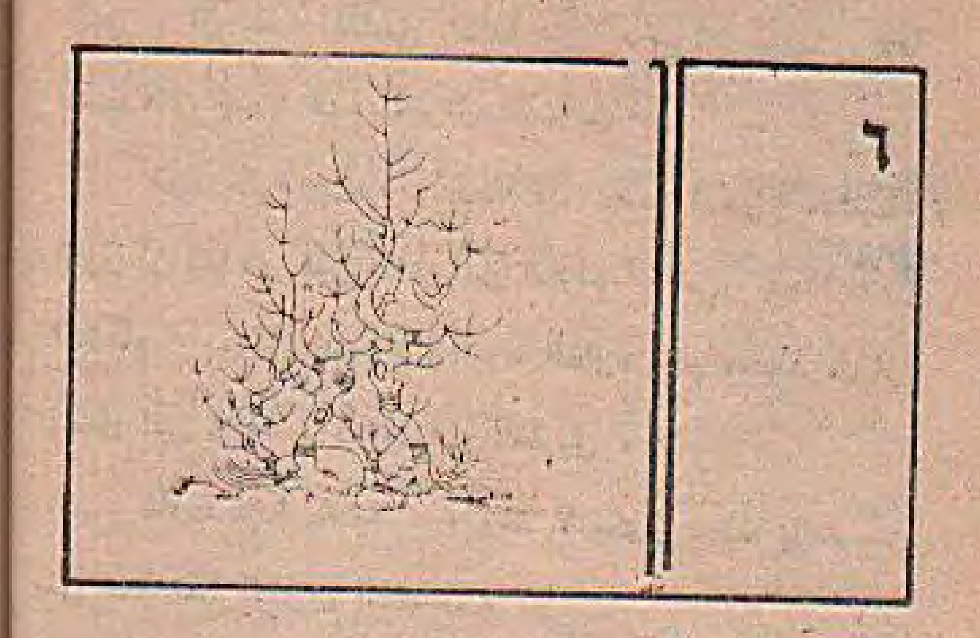
قالت فيدا بكآبة : « وقد لا يكون حظنا بأحسن من حظ هذا الغزال التعيس » .

فرد عليها بوزو غاضبا : « الا تستطيعين ان تخفي من تشاؤمك قليلا . ان حديثك السخيف هذا يخيف الاطفال ! وانا متأكد اننا سنصل الى الممر في الشمال ونعبره ، ونصل الى العالم الثاني حيث سنلتقي بعمي ايلي وأفراد عائلته » . فربت والده على ظهره وقال :

« احسنت يا ولدي ، انك شجاع حقا . »

فقالت تاكي : « وانا لا اخاف ايضا » .

★ ★ ★



كانوا كلما اتجهوا الى الشمال ازدادت برودة الجو وانعدمت مظاهر للحياة تماما • ومروا بمناطق جبلية كانت فيها المجلدات الشاهقة ترتفع عاليا في السماء حتى يخيل الى من يتطلع اليها من تحت انها تناطح السحاب •

وبينما كانوا يسيرون في احد الايام قرب أحد سفوح الجبال يكسوها الجليد ، سمعوا دويا رهيبا • فتطلعوا الى الاعلى نحو الجبل الشاهق ، فشاهدوا احدى المجلدات الكبيرة تتجه زاحفة الى الاسفل نحو السهل •

صاح بوزو خائفا : « اسرعي يا فيدا ، انها مجلدة عظيمة نازلة من الجبل باتجاهنا • اذا لم نبتعد عن طريقها فستسحقنا كالنمل الصغير •»

وبدؤا يجرون بكل ما اوتوا من قوة ، وهم يتطلعون بين الفينة والفينة الى المجلدة العملاقة التي تنحدر نحوهم • واخيرا نجحوا في ان يتجاوزوا منطقة الخطر ، فوقفوا يتطلعون الى المجلدة التي كانت تمر على مقربة منهم وهم يلهثون من التعب

كانت المجلدة تسير كالبلدوزر الضخم ، تحفر طبقات الثلج ، وتشق من تحتها التربة ، وكانت تكشط سفح الجبل ، وتطحن صخوره الضخمة الصلدة ، بفعل ثقلها العظيم والصخور الدفينة فيها • واما الصخور التي لا تقاوم اندفاعها وتستسلم لقوتها ، فكانت تكتسحها امامها وتدفعها كأنها حصى صغيرة • وهي خلال كل

ذلك تحدث ضجة رهيبة تهتز لها الارض تحت اقدامهم ·

قالت فيدا وهي ترتجف خائفة : « هل رأيت يا بوزو · ان الاله الابيض قد غضب علينا · انه يبعث بمجلداته القاتلة لتسحقنا كالحشرات · لقد صدق الكاهن عندما حذرنا من ان نعصي أوامره ونرحل عن أرض الاجداد · »

فرد عليها بوزو مشجعا : « لا تخافي يا فيدا فقد تخلصنا من خطر هذه المجلدة وانتهى الامر » ·

وبعد عدة أيام بينما كانوا ينامون في احد الكهوف في احدى الليالي المقمرة ، استيقظ جيكو على عواء الذئاب الرهيبة · وعندما ادرك انها كانت قريبة من الكهف الذي كانوا ينامون فيه ، ايقظ والده ووالدته ·

قال جيكو : « اسمع يا أبي عواء الذئاب · لابد انها قريبة منا · »

وانصت والده لعواء الذئاب قليلا ، ثم قال : « صدقت يا جيكو ، انها قريبة جدا · »

فسألته فيدا : « وما العمل اذا وصلت الى الكهف واكتشفتنا فيه ؟ »

قال بوزو « ايقظي تاكي ، ودعونا نفر من هذا المكان قبل وصولها · »

وايقظت فيدا تاكي ، وحملوا اسلحتهم وحاجياتهم وخرجوا من الكهف · كان القمر الشاحب يرسل نوره الاصفر الباهت على الثلوج فيكسوها بغلالة صفراء خفيفة · واصبح عواء الذئاب اقوى واكثر وضوحا خارج الكهف ·

وبدؤا بالركض مبتعدين عن موقع الكهف ، الذي كان من الواضح ان الذئاب كانت تقصده ، ولم يبتعدوا الا قليلا حتى احسوا بان الذئاب قد اكتشفت هروبهم من الكهف ، وانها كانت تسرع في اثرهم ·

وبعد قليل اصبح في مقدورهم ان يروا الذئاب

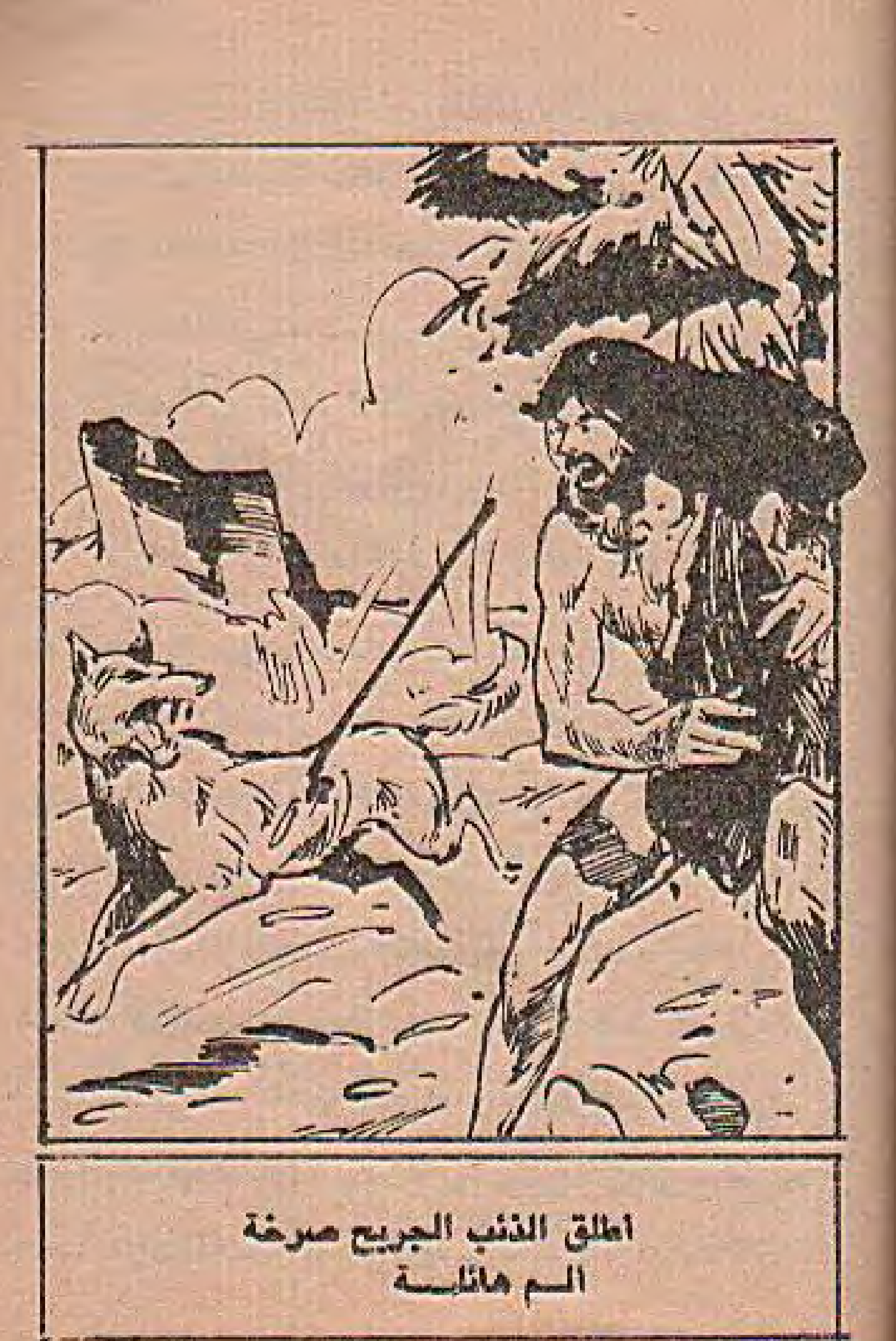
الرمية وهي تطاردهم بمثابرة · فتملكهم الرعب وراحوا يركضون بكل ما اوتوا من قوة · وفجاة عثرت تاكسي باحدى الصخور ، فسقطت وسط الثلج ، فاختطفهـا بونزو ، وحملها واستمر في جريه · وبعد قليل عندما أصبحت الذئاب قريبة جدا منهم ، وتاكدوا انهـا ستدركهم لا محالة · قال بونزو : « لا فائدة من جرينا، ان الذئاب اللعينة ستلحق بنا وتفترسنا · »

فسالته فيدا وهي تلهث خائفة : « وما العمل ؟ »

اجابها : « لقد طرأت لي فكرة · هل تعلمون ان الذئاب الجائعة اذا ما شاخ أو مرض أو مات أو حتى جرح احدها تفترسه في الحال ؟ »

قال جيكو : « هل تفعل ذلك حقا ؟ »

فرد عليه بونزو : « اجل يا جيكو · والان يجب علي أن اقتل او اجرح احدها ، لنتمكن من الخلاص من شرها ، اثناء افتراسها له · »



اطلق الذئب الجريح صرخة
الـم هائلـة

قال جيكو : « انها فكرة عظيمة يا والدي ».

قال بوزو : « استمروا انتم بالركض باقصى سرعتكم . اما انا فسانتظرها خلف احدى هذه الصخور لافاجئها عند وصولها واضرب برمحي احدها . »

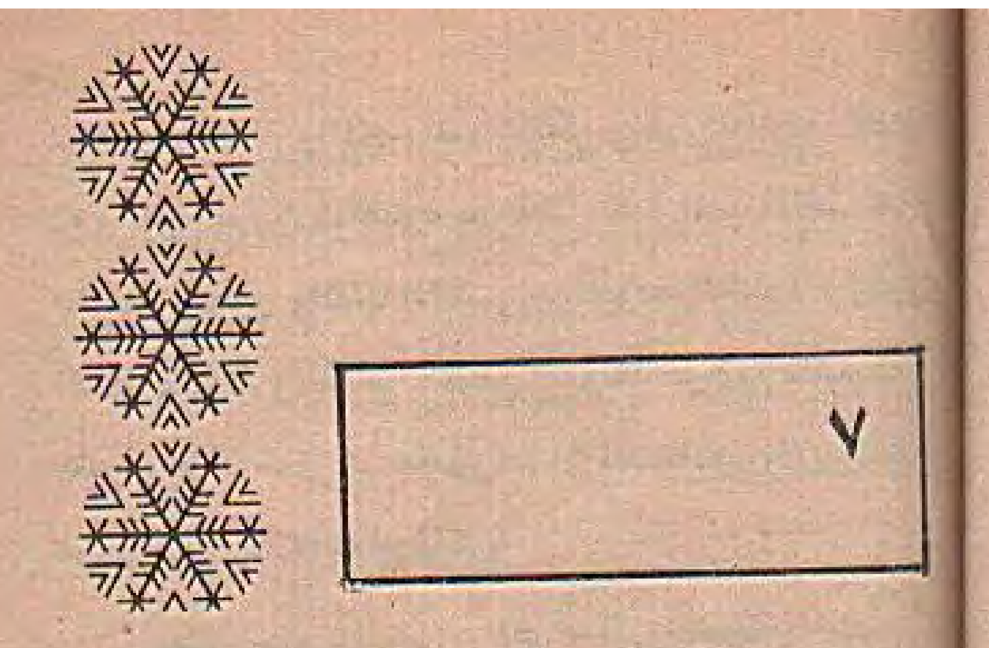
واستمر جيكو وامه واخته بالجري مبتعدين،بينما اختفى والده خلف صخرة كبيرة ، متربصا وقد شرع رمحه استعدادا لطعن احد الذئاب عن وصولها .

وما هي الا لحظة حتى كانت الذئاب قد وصلت المكان الذي كان يختبيء فيه بوزو ، فاختار احدها وطعنه بالرمح وهو مختبيء خلف صخرته . واطلق الذئب الجريح صرخة الم هائلة ، وسقط على الثلج الذي خضبته دماؤه وهو يحتضر . وما ان احست بقية الذئاب بما حدث لزميلها حتى كفت عن مطاردة عائلة بوزو ، ورجعت لتنقض على الذئب المحتضر لتشبع به جوعها ، وقبل ان تفترس الذئاب ذلك الذئب نشبت بينها معركة حامية ، استعملت فيها انيابها ومخالبها ضد

بعضها ، وتطاير الثلج الذي كان يغطي الارض في الجو ، وردد السهل صدى زمجرتها وصيحاتها المرعبة .

واستغل بوزو الموقف وانسل من خلف الصخرة التي كان يختبيء خلفها بهدوء دون ان يدع الذئاب التي كانت مشغولة بمعركتها من ملاحظته ، ولحق بعائلته جريا وهو يحمل رمحه الذي خضبته دماء الذئب الذي انقذ موته حياة عائلة بوزو باعجوبة .

* * *



٧

بعد ان مر عليهم منذ بدء رحلتهم حوالي الثلاثة اشهر وصلوا الى منطقة في اقصى شمال القارة ، ولقد ادهشهم ان وجدوا انه بالرغم من ان هذه المنطقة كانت متجمدة تماما ، واشد برودة من جميع المناطق التي مروا بها ، الا انها كانت تعج بالكثير من الحيوانات التي كانت اما غريبة عليهم لعدم وجودها في منطقتهم ، او مختلفة بعض الشيء عن مثيلاتها الموجودة في منطقتهم .

شاهدوا الفقمة والفظ واسد البحر وطير البطريق الذي لم يسبق لهم ان شاهدوه من قبل . كما انهم شاهدوا الارنب القطبي والدب القطبي ، والبومة الثلجية ، وثور المسك والرنة والثعلب القطبي · ولقد فرحوا لذلك كثيرا ، فلقد صار في مقدورهم ان يصطادوا الان الكثير من الحيوانات والتمتع بأكلها ·

سال جيكو والده : « اني حقا متعجب يا ابي · كيف تستطيع هذه الحيوانات ان تعيش في مثل هذه المنطقة المتجمدة القارسة البرد ، بينما عجزت مثيلاتها من العيش في منطقتنا وغيرها من المناطق التي تعد اقل برودة اذا ما قورنت بهذه المنطقة · »

فاجابه والده : « صدقت يا ابني · ولكني اظن ان هذه الحيوانات قد اعتادت على برودة الجو · وتطورت خلقتها بمرور الزمن لتناسب بيئتها الجديدة · انظر اليها كيف يحمي جسمها الفرو او الريش السميك ، ومن لا يكسوه الفرو منها يحتفظ تحت جلده بطبقة سميكة جدا من الشحم · ثم انظر كيف الوان معظمها يختلف عن الوان مثيلاتها في المناطق الاخرى · »

قال جيكو : « اجل يا ابي · ان معظمها بيضاء · الدب ابيض ، والارنب ابيض ، والبومة بيضاء ، وحتى الثعلب ابيض · »

فسأله والده : « هل تعلم لماذا اصبحت كل هذه الحيوانات بيضاء ؟ »

فتدخلت تاكي في حديثهم وقالت : « انا اعرف لماذا صارت هذه الحيوانات بيضاء · صارت بيضاء لان اللون الابيض اجمل الالوان · »

فضحك اهلها لما قالت وقال جيكو : « اعتقد انها اصبحت بيضاء لتختفي عن انظار اعدائها وصياديها ، فلا ترى بسهولة ، لانها بلون الثلج الذي يحيط بها من كل جانب · »

قال والده : « احسنت يا جيكو · انك ولد ذكي حقا · » واستطاع جيكو باستعماله رمحه ان يصطاد

ارنبا قطبيا ابيضا ، ولقد فرحت امـــه لذلك كثيرا ، وسلخته ، وشوته ،

وصادف بوزو قطيعا صغيرا من ثيران المسك ، فطاردها حتى لحق بها واصطاد بمساعدة رمحـــه احدها ، ولكنه ما كاد يخرج سكينه ويشرع في سلخ الثور ، حتى وجد نفسه محاطا بعدد كبير من الرجـــال الذين لم يسبق له ان راى مثلهم من قبل ،

كانوا يرتدون جلود الحيوانات ذات الفرو الغزير بحيث تغطي اجسامهم من ام رأسهم الى اخمصـــــ اقدامهـــم ،

تقدم منه احدهم وكان يبدو عليه انه رئيسهـــم وقال : « نحن قبيلة « اللابيين » وهذه ارضنا منذ الاف السنين ، وكل الحيوانات الموجودة فيها ملك لنا ، فـلا يحق لاي انسان غريب ان يصطادها ، وانت بعملـــك هذا قد ارتكبت جريمة نعاقب عليها هنا بالموت ، »

قال بوزو وقد احاط به رجلان من اللابيين وراحـا

يربطان يديه خلف ظهره بحبل مصنوع من جلد الفقمـة

« انا انسان مسكين ، عندي عائلة ، زوجة وولـــد وبنت ، جئنا مسافرين من منطقة بعيدة في الجنوب ، قاصدين الممر الشمالي العظيم الى العالم الثاني ، اننا جياع تماما ، فارجو ان ترحمونا ، »

فاجابه الرئيس قائلا : « ان قانوننا لايعـــرف الرحمة ، »

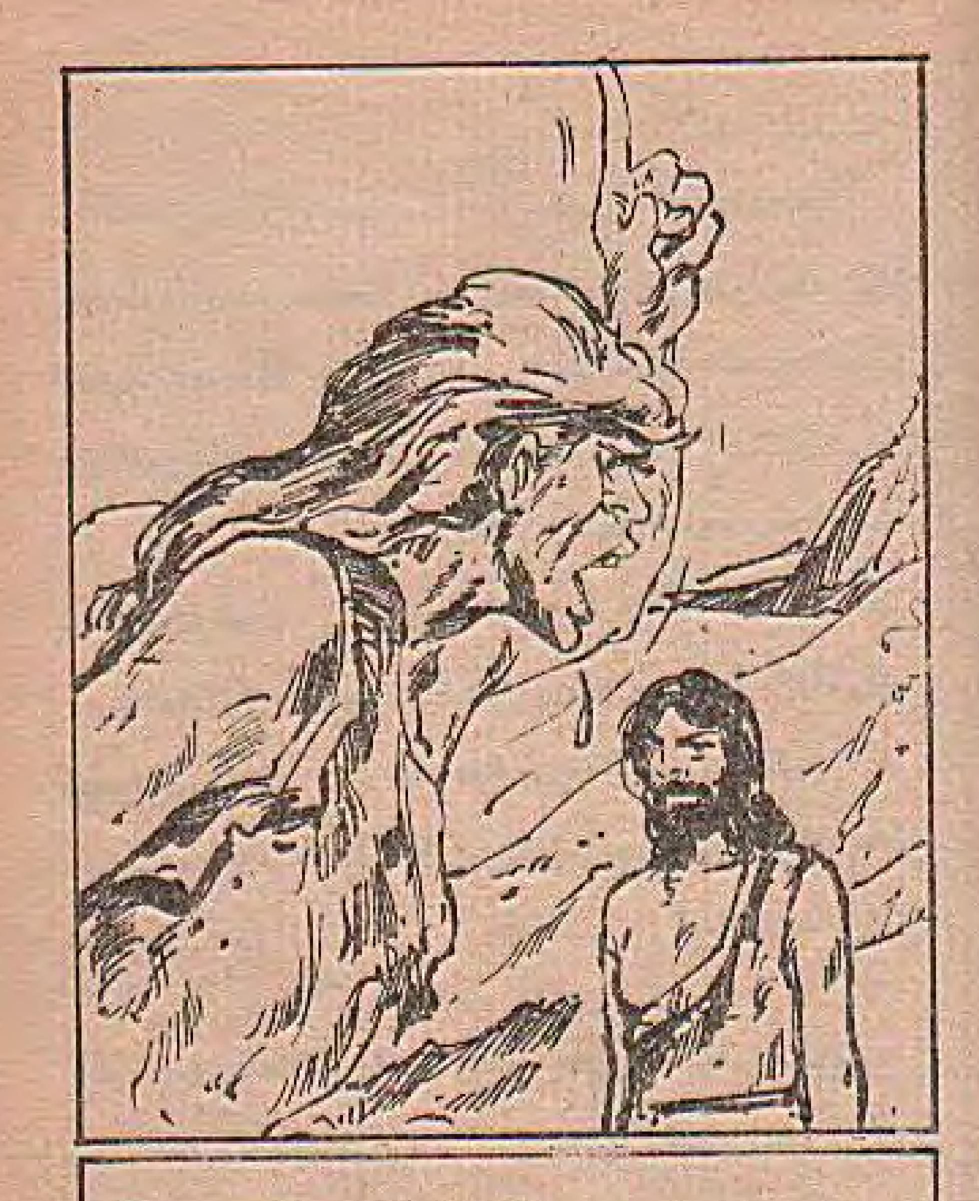
قال بوزو ومتوسلا : « صحيح انني اصطدت هذا الثور ، ولكنني مستعد لاتخلى عنه لكم ، ارجـــو ان تغفروا الي غلطتي ، وانا اتعهد لكم بعدم ممارســة الصيد في اراضيكم ابدا ، انني ساخذ عائلتي واغـادر في الحـال ، »

قال الرئيس : « لقد فات الاوان ، »

وسار الرئيس يتبعه الرجلان اللذان يقتادان بوزو ومن خلفهم بقية رجال القبيلة ، وبعد قليل وصلوا الى قريتهم التي كانت عبارة عن بيوت مقوسـة السقوف ،

مبنية من قطع منتظمة الشكل من الجليد الصلد ، تحيط بساحة كبيرة تتوسطها حفرة واسعة عميقة · وربط رجال اللابيين بوزو الى عامود مصنوع من جذع شجرة يابسة على مقربة من الحفرة ، وانصرفوا عنه الى بيوتهم الثلجية الغريبة ·

وفجأة سمع بوزو صيحات مرعبة تأتي من قعر الحفرة ، فمد راسه بقدر ما كان يسمح له الحبل الجلدي المربوط به ، فرأى دبا قطبيا متوحشا ضخما · وما ان لمحه الدب حتى وقف على طرفيه الخلفيين وراح يلوح بطرفيه الامامين ذات المخالب المقوسه الطويلة مهددا ويصيح بوحشية جعلت بوزو يرتجف في مكانه · وفهم بوزو الطريقة التي يستعملها اللابيون في اعدام ضحاياهم · كانوا يربطونهم الى العمود قرب حفرة الدب طوال الليل ليرعبوهم ، فاذا ما حانت ساعة تنفيذ الاعدام عند الصباح يرمون بهم الى الحفرة ليمزقهم ذلك الدب المفترس بمخالبه الجارحه وانيابه القاطعة



فاجاب الرئيس قائلا : أن قانوننا لايعرف الرحمة

اريـــــا ٠

وعندما حل المساء ولم يعـــد بوزو الى عائلته ، قلقوا عليه وقرروا ان ينطلقوا من الكهف الصغير الـذي اقاموا فيه بعد وصولهم الى تلك المنطقة المتجمدة ،للبحث عنه ٠ وقضوا اطوال تلك الليلة يبحثـون عنه وينادون عليه باعلى اصواتهم دون فائدة ٠

وعند الصباح تجمع اللابيون في ساحة قريتهـم حول الحفرة وهم يترنمون باغانيهم ويؤدون رقصاتهم ٠

وبعد ان خيم عليهم الصمت قدم رئيسهم وهـو يضع على راسه تاجا من قرون ثور المسك ، ويمسك بيده ناب ماموث كبير ٠

وبينما كان الرئيس ينطق بحكم الاعدام عـــلى بوزو ، وصل جيكو وامه واخته الى القرية ، وصعقـوا عندما شاهدوا بوزو مربوطا الى العمود ، قرب الـدب الذي كان يصيح ويلوح بمخالبه متشوقا الى فريستـه البشرية ٠ وجرت فيدا مخترقة صفوف اللابيين الــى

زوجها وقد تملكها الفزع ·

سألته باكية : « ما الذي يجري يا بوزو ؟ »

فاجابها : « لقد قبضوا عليّ اصطاد في ارضهم ، فحكموا علي بالموت · »

قالت : « سأتوسل اليهم عسى ان يعفوا عنك · »

قال : « لا فائدة · لقد حاولت ذلك قبلك · انهم سيرمون بي الى هذا الدب المتوحش وينتهي كل شيء · خذي جيكو وتاكي وتابعوا طريقكم الى العالم الثاني · فاذا وصلتم هناك ابحثوا عن اخي ايلي حتى تجدوه وهو سيساعدكم في كل شيء · »

صاحت فيدا وهي تحتضنه منتحبه : « مستحيل .. مستحيل لن نتخلى عنك ! »

وعندما تقدم احد اللابيين وابعدهما عن بوزو ، اندفع كل من جيكو وتاكي واحاطوا والدهم باذرعتهم وهم يولولون · فبكى بوزو وقال لجيكو : « اسمع ياجيكو انك اصبحت الان رب العائلة من بعدي ، فاعتني بامك

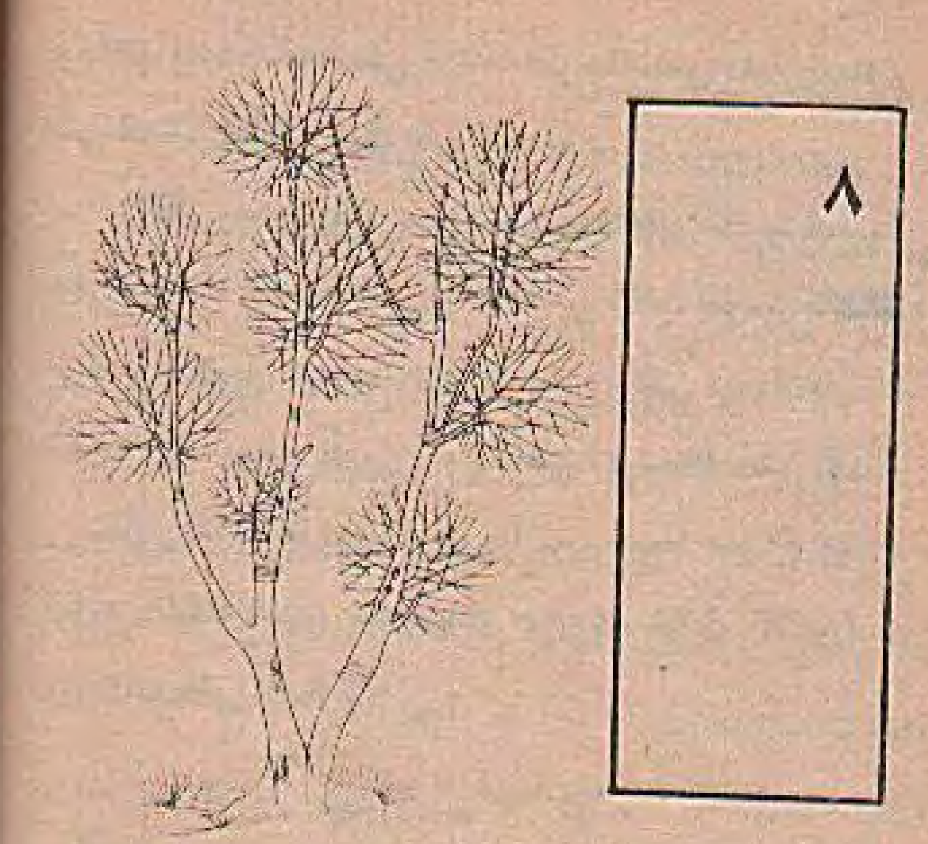
واختك وساعدهما على متابعة الرحلة عبر الممر العظيم الى العالم الثاني حيث يقيم عمك · »

قال جيكو باكيا : « اعاهدك على ذلك يا ابي »

وترك والده وانضم الى والدته التي كانت تتوسل باكية برئيس اللابيين ليعفوا عن زوجها · ولكن توسلاتهما ذهبت الى أدراج الرياح · وماهي الا لحظة حتى تقدم رجلان وفكا رباط بوزو ، ورميا به ، وسط صراخ وبكاء افراد عائلته الذي ضاع بين صيحات تهليل اللابيين الى الدب في الحفرة ·



٨



وبعد ان تم اعدام بوزو بتلك الطريقة الوحشية ، اخذ جيكو امه واخته وانطلق بهما مكملا رحلتهم الى الغرب باتجاه الممر العظيم • وبعد مسيرة عدة ايام وجدوا انفسهم في منطقة يسكنها قوم مثلا اللابيين ولكنهم مسالمين •

وعندما شعر جيكو وامه واخته بالجوع ، لم يتجرؤا على الصيد في تلك المنطقة ، خوفا من ان يكون مصيرهم مصير والدهم المسكين •

والتقى جيكو في احد الايام بصبي من اولئك القوم وهو يصطاد السمك من بحيرة صغيرة متجمدة •

وكان انفه افنصا ، هذا بينما كان خداه بارزين •

كان الصبي قد حفر الجليد على شكل دائرة يبلغ قطرها حوالي المتر ، وراح يتربص بالسمك الذي كان يسبح في الماء تحت سطح البحيرة المتجمد ، وهو يشرع رمحه المصنوع من العظام • واقترب جيكو من الصبي وهو خائف ، وحياه ثم سأله : « ما الذي تصطاده ؟ »

اجابه الصبي : « اني اصطاد السمك • بعد قليل ستمر سمكة داخل هذه الدائرة فاصطادها بأن اطعنها برمحي • »

قال جيكو : « انها طريقة عظيمة لصيد السمك • اسمح لي ، اني أسافر مع امي واختي نحو الممر العظيم ، ولقد مرت علينا عدة ايام دون ان نتناول اي طعام ،

في صيد السمك ؟ ».

فرد عليه جيكو : « اجل يا صديقي . »

قال الصبي : « اذا هيا لتجرب حظك »

وحفر جيكو في الجليد دائرة مثل دائرة صبي الاسكيمو ، وربض عندها وقد شرع رمحه متربصا .

سأله صبي الاسكيمو : « هل قلت انكم قد فقدتم والدكم ؟ »

أجابه جيكو : « اجل ، لقد اخبرتك ان اللابيين قد اعدموه . »

قال الصبي : « لا تحزنوا فبامكانكم ان تحصلوا على والد من قومنا . »

قال جيكو متعجبا : « نحصل على والد من قومكم؟ لا افهم ذلك ! »

قال الصبي : « ستفهم ذلك عندما سنذهب الى قريتنا بعد انتهائنا من صيد السمك . »

وفجأة لاحت سمكة كبيرة وهي تمر تحت حفرة

فهل يسمح قومك لنا ان نصطاد في منطقتكم ؟ »

قال الصبي : « اجل ، تستطيع ان تحفر دائرة في الجليد ، وتحاول ان تصطاد لكم بعض السمك . »

قال جيكو : « لقد اصطاد والدي ثورا في ارض اللابيين ، فقبضوا عليه واعدموه . »

قال الصبي : « ان اللابيين قوم اشرار ، وقد قتلوا الكثير من قومنا ، لالشيء الا لانهم قبضوا عليهم وهم يصطادون في ارضهم . واما قومنا فيختلفون عنهم تماما . »

قال الصبي : « اننا الاسكيمو . ونحن قوم مسالمون ، لا نضمر الشر لاحد . »

وما اتم صبي الاسكيمو جملته حتى ابصر سمكة تمر ضمن حفرته الدائرية ، فطعنها برمحه الذي اخترق جسدها وصاح : « لقد اصطدتها ! »

واخرج رمحه من الماء وقد علقت به سمكة كبيرة .

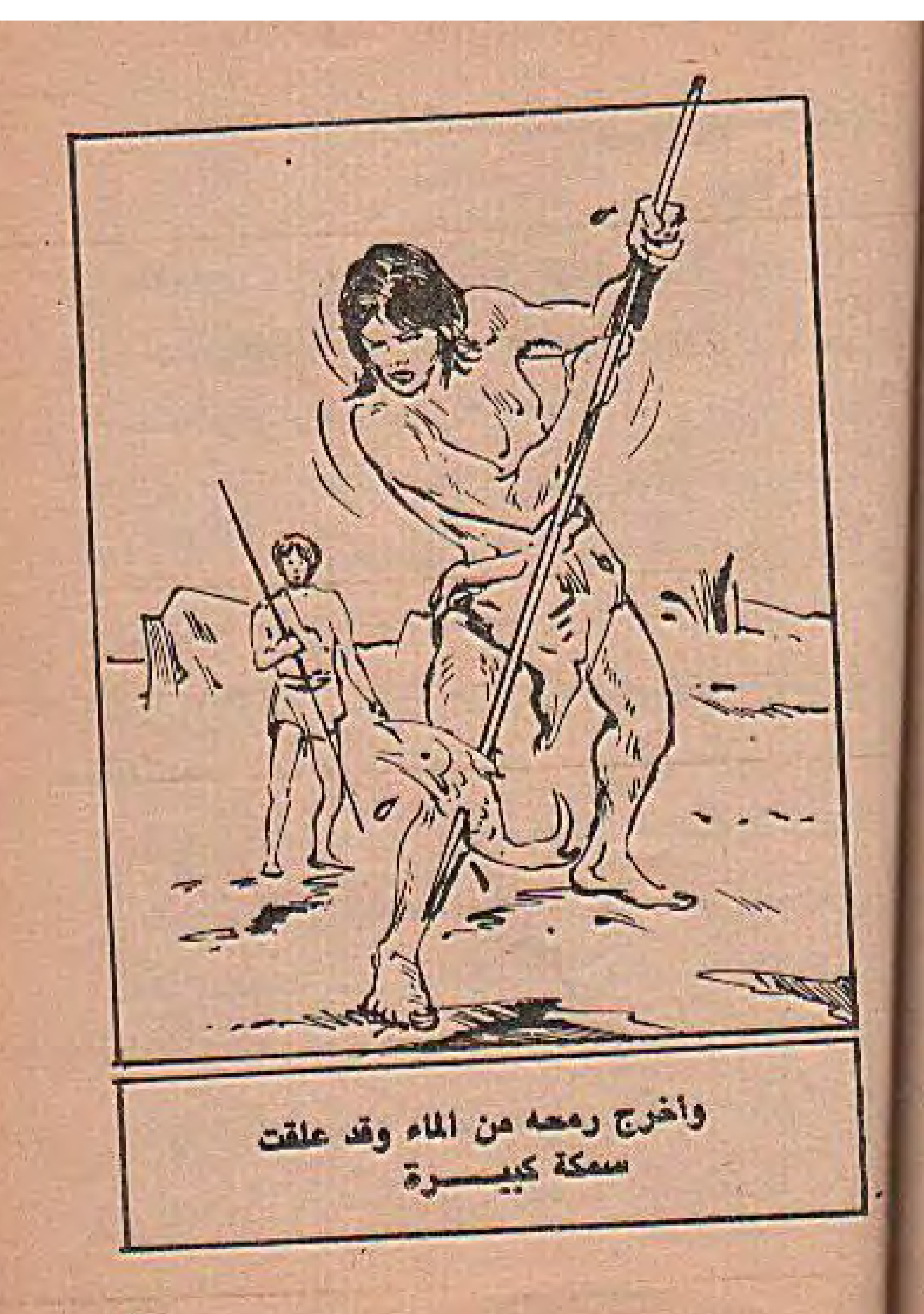
قال الصبي لجيكو : « والان هل تعلمت طريقتنا

جيكو الدائرية ، فبادر الى طعنها برمحه . وعندما اخترقها الرمح واخرجها من الماء صاح مهللا : « وانا ايضا اصطدت واحدة ! »

ووصلت في الحال فيدا وتاكي ، فعرض عليهما جيكو السمكة التي اصطادها ، ففرحتا كثيرا لذلك .

واصر صبي الاسكيمو على يأخذ جيكو واهله سمكته ايضا . وبعد ان شوت فيدا السمكتين واكلوها مع صبي الاسكيمو ، صحبهم صبي الاسكيمو الى قريتهم ، التي كانت تتكون ايضا من عدة بيوت مكورة مبنية من مكعبات من الجليد ، موزعة على سهل صغير تكسوه الثلوج .

وما كاد الاسكيمو الذين كانوا عند وصولهم يرون جيكو وامه واخته حتى التفوا حولهم متعجبين . وجرى بعضهم الى البيوت الثلجية المكورة ليخبر الاخرين بوصول الضيوف الغرباء . وماهي الا لحظات حتى خرج كل اهل القرية من بيوتهم والتفوا حول جيكو واخته



واخرج رمحه من الماء وقد علقت سمكة كبيـــرة

وهم يتطلعون الى ملابسهم الجلدية وخلقهم المختلفـــة بفضـــول

وبعد قليل قدم رجل مسن من الاسكيمو وهو يضع على رأسه تاجا من بومة ثلجية محنطة ، ويمسك بيـده عصى طويلة يزينها عدد كبير من انياب الفقمات ، فافسح له جمهور الاسكيمو الطريق ، وهم يتطلعون اليه باحترام مما جعل جيكو يفهم انه كان رئيسهم ٠

سال الرئيس من يحيطه من اهل القرية : « من اين جاء هؤلاء الناس ؟ » فرد عليه الصبي الذي قادهم الى القرية : « لقد وجدتهم يا سيدي الرئيس قرب البحيـرة حيث كنت اصطاد السمك ، كانوا جياعا فعلمتهم كيـف يصطادون السمك بطريقتنا ، فاصطادوا سمكة واهديتهم سمكة كنت قد اصطدتها ٠ وبعد ان اكلنا السمك ، جئت بهم الى القرية ٠ »

قال الرئيس للصبي : « حسنا مافعلت يا ولدي ٠»

قال الصبي : « اخبروني بقصة محزنة يا سيدي ٠

لقد اعدم اللابيون الاشرار والدهم ، واصبحوا بدون والد . »

قال الرئيس وهو يتطلع الى فيدا باعجاب : « هل تعني ان هذه المرأة الجميلة باتت بدون زوج . اللعنة على اللابيين ، لاينجو احد من شرهم ! »

واقترب الرئيس وهو يهز عصاه ، فتحدث انياب الفقمات المعلقة بها ضجة عالية . وعندما اصبح بجانب فيدا مد يده الى شعرها الاشقر الطويل واستطرد قائلا : « لا تحزني يا عزيزتي ، ساكون والدكم ، فليس من المعقول ان تبقى امراة جميلة مثلك بدون زوج . »

فتراجعت فيدا مبتعدة عنه وقالت : « مامعنى هذا ؟ »

قال الرئيس مبتسماً : « بالنسبة لتقاليدنا يجب على المرأة ان تتزوج بعد موت زوجها في الحال اذ لايصح ان تبقى اطفالها بدون والد . »

قالت فيدا منزعجة « ولكنني لا أريد الزواج ! »

قال الرئيس : « هذا مستحيل . انها تقاليد قبيلتنا ويجب على الجميع تطبيقها . »

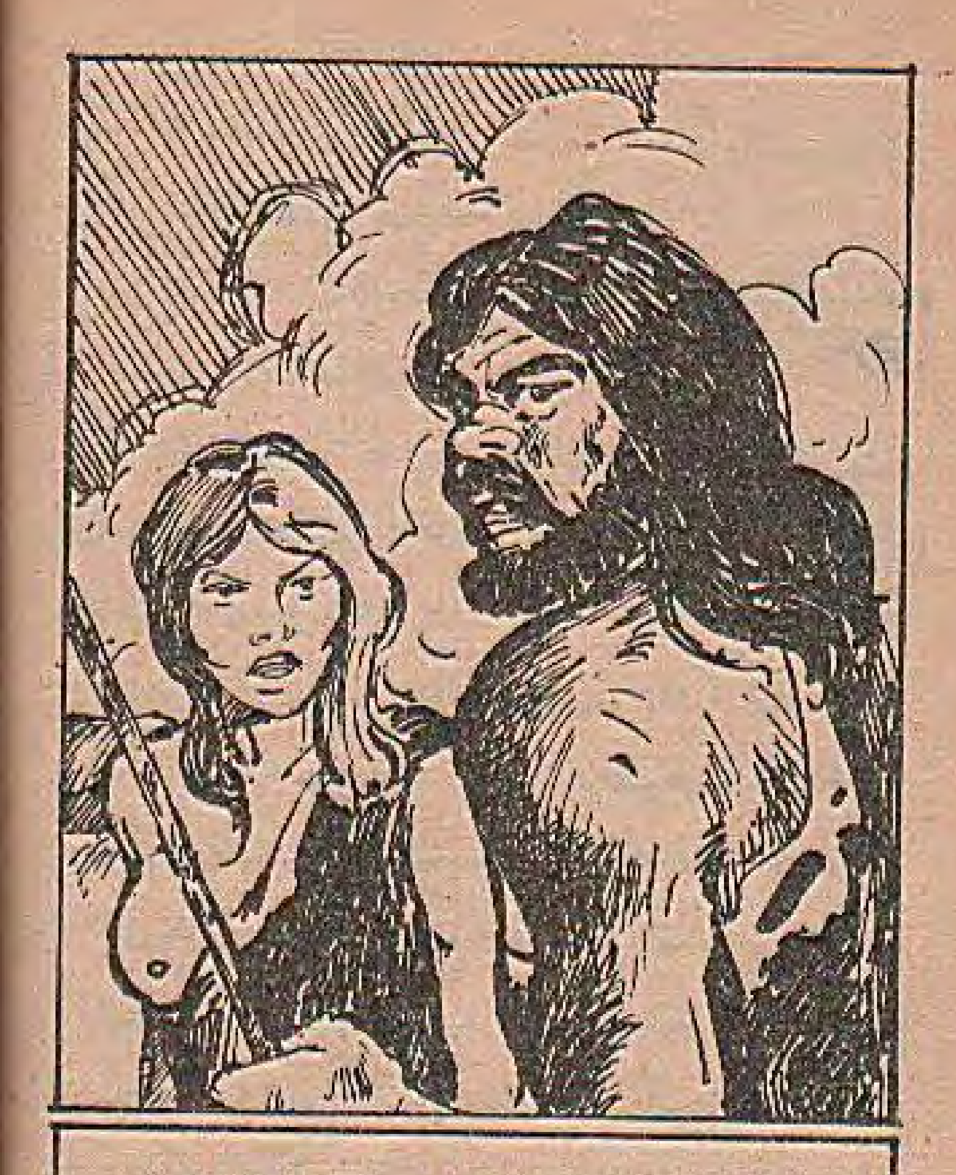
قالت فيدا : « ولكننا قوم غرباء ، ولاعلاقة لنا بتقاليدكم ، لاننا لسنا منكم . »

قال الرئيس : « لم تعودوا غرباء ، فبدخولكم ارضنا وصيدكم فيها اصبحتم منا وهذه ايضا من تقاليدنا . »

قالت فيدا : « لا نريد ان نصبح منكم . اننا نقصد العالم الثاني ، وسنغادر ارضكم في الحال . »

قال الرئيس : « لا يسمح لكم بذلك . لقد قررت ان اتزوجك ، واصبح والدا لاطفالك وانتهى الامر . خذوهم الى احد بيوتي ليقيموا فيه ، وقدموا لهم المزيد من الطعام وليقوم على حراسة مدخل البيت حارسان . وغدا سنقيم حفلة زواجي من هذه الارملة الجميلة . »

هلل الاسكيمو وصاحوا فرحين لذلك ، ثم تفرقوا بعد ان انصرف رئيسهم . واقترب صبي



قالت فيدا منزعجة :لكني لا أريد الزواج

الاسكيمو من فيدا وقال لها : « مالي اراك منزعجة ان الرئيس قد شرفك بان اختارك زوجة له . ان كل امرأة في قبيلتنا تتمنى ذلك : ياليته يختار امي للزواج ويصبح والدي ! »

قال جيكو : « ولكن امي لاتريد الزواج من رئيسكم هذا كما اننا انا واختي لا نريده ان يصبح والدا لنا . » وكل مانبغيه هو ان نتابع رحلتنا الى العالم الثاني . »

فقال الصبي : « اني متعجب من موقفكم هذا وعلى كل تفضلوا الى البيت الذي خصصه لكم الرئيس. »

وعندما حل المساء ، كان يقف عند مدخل البيت الذي اقام فيه جيكو وامه واخته حارسان من رجال الاسكيمو ، ليمنعوهم من الهروب فيما اذا فكروا بذلك .

كان الثلاثة يجلسون في البيت الثلجي حول نار الموقد ، وكانت فيدا لاتزال تبكي لاصرار الرئيس على الزواج منها وعدم السماح لهم بمواصلة رحلتهم

الى العالم الثاني .

قال لها جيكو : « لا تبكي يا امي ، فاني ساخلصك من هذا الزواج بكل تاكـــيد . »

قالت فيدا منتحبة : « ولكن كيف ستفعل ذلك ؟ »

قال جيكو : « بعد قليل سينام الجميع ، وعندئـــذ سنهرب . »

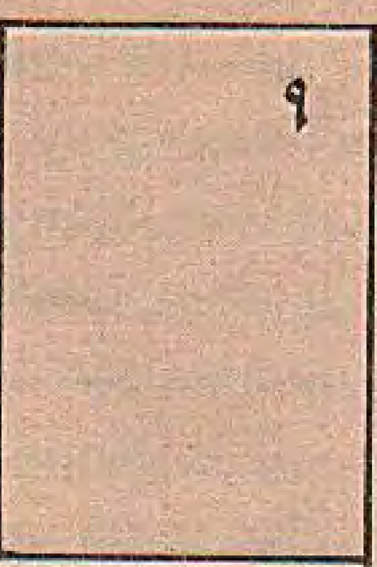
فقالت امـــه : « وكيف سيتسنى لنا الهرب وهذان الحارسان سيراقبان مدخل البيت طوال الليل . »

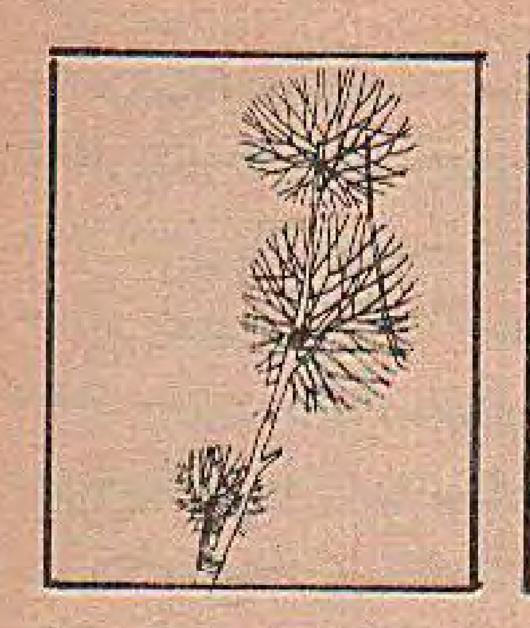
قال جيكو : « لقد فكرت بكل شيء . اننا لن نهرب من المدخل ، وانما سنعمل لنا مخرجا في جوار البيـــت الخلفي ونهرب منه لاتنسي يا امي ان البيت مبنى مـــن قطع الجليد ، وليس من الصعب اذابتها بواسطـــــة النار . »

وبعد ساعة تقريبا كان جيكو وامه واخته يذيبون بعض قطع الجليد في الجدار الخلفي للبيت بنار الموقد .

وعندما تم لهم ذلك تسللوا من الفتحة التـــي احدثوها وولوا هاربين دون ان يحس بهم الحارســـان اللذان كان يقفان عند المدخل ، او اهل القرية الذيـــن كانوا يغطون في نوم عميق وهم يحلمون بحفلـة زواج رئيسهم من الارملة الجميلة الغريبة في اليوم التالي •







تابع جيكو وامه واخته رحلتهم الى الغرب باتجاه الممر العظيم ، متسلقين الجبال الشاهقة التي يتـــوج قممها الثلج ، ويقطعون السهول البيضاء الشـــاسعة ويعبرون الوديان العميقة التي شقتها المجلدات الثلجية منذ الاف السنـين •

وكان جيكو يشبع جوعهم بما يصطاده مـــن الحيوانات الصغيرة من وقت لاخر • وتعلمه امه الحزن

على موت ابيه حتى مرضت واصابهـــا ضعف شديد ولكن جيجو بشجاعته ونكائه وشطارته عمل على راحتها وراحة احبه ، وكان يشجعهما على تحمل كل ما حـــل بعائلتهم ، ومواصلة الرحلة حتى النهاية • وفـــي الحقيقة استطاع جيكو ان يفي بوعده لابيه ، ذلك الوعد الذي قطعه على نفسه امام ابيه قبل موته بقليل •

واخيرا وصلوا الى الممر العظيم الذي كان عبارة عن جسر ارضي ظهر بسبب انخفاض منسوب الميـــاه في المحيطات والبحار ، من جراء تجمد مياه البحـــر وتحول معظمها الى مجلدات بلغ حجم بعضها ملايـــين الاقدام المكعبة • اذا فهذا هو الطريق الذي سلكه عمهم ايلي وعائلته ومئات العوائل والاف الحيوانات الـــى العالم الثاني ، حيث كتبت لهم حياة جديدة •

واشتد المرض على فيدا وازداد ضعفها حتـــى اصبحت لاتقوى على السير حتى الى مسافات قصيرة، فاضطروا الى ان يقيموا في احد الكهوف • كانت فيدا

لاتستطيع النوم طوال الليل ، وكنت جوانب الكهف تردد صدى سعالها ابان الليل والنهار • وبعد ايام مـــن توقفهم عن مسيرتهم واقامتهم في الكهف ، لم يعـــد بمقدور فيدا حتى تناول الطعام ، فهزلت حتى بانـــت عظامها واضحة من تحت جلدها •

وفي احدى الليالي ايقظت فيدا جيكـــو وتاكي • فوجداها قد انهارت واصبحت في النزع الاخير •

قالت فيدا تحدث طفليها بضعف شديد : « اسمعا يا عزيز ي • اني اشعر بالموت يدب في جسدي • »

فصاح جيكـــو والدموع تخنقه : « كلا يا امي لا تياسي • صحيح انك مريضة جـــدا ، ولكن يجب ان تتشبثي بالحياة • ارجو ان تتشجعي قليلا • »

فردت عليه : « يجب أن نكون واقعيين يا ولدي اني احتضر ، وساموت بعد لحظات • اني احس بذلك• »

فقاطعتها تاكي وهي تحتضنها باكية : « امـــي ارجو الا تموتي • لا تتركينا وحدنا • اننا نحبك ولا احد

لنا من غيرك ! »

قالت فيدا : « ليس الامر بيدي يا ابنتي . لقد حلت بوالدكما وبي لعنة الاله الابيض ، فكتب علينا الهلاك »

واستمر جيكو وتاكي بالبكاء وهما يستمعان الى كلام امهما . ثم استطردت فيدا كلامها بصعوبة بالغة : « جيكو ، بعد موتي ادفني تحت الارض ، وخذ اختك واستمرا في رحلتكما الى العالم الثاني ، وابحث عن عمك ايلي متى وصلتما هناك ، واخبره بما حل بوالدك وبي ، وانا متاكدة من انه سيعتني بكما ويعاملكما كما لو كنتما من اطفاله . »

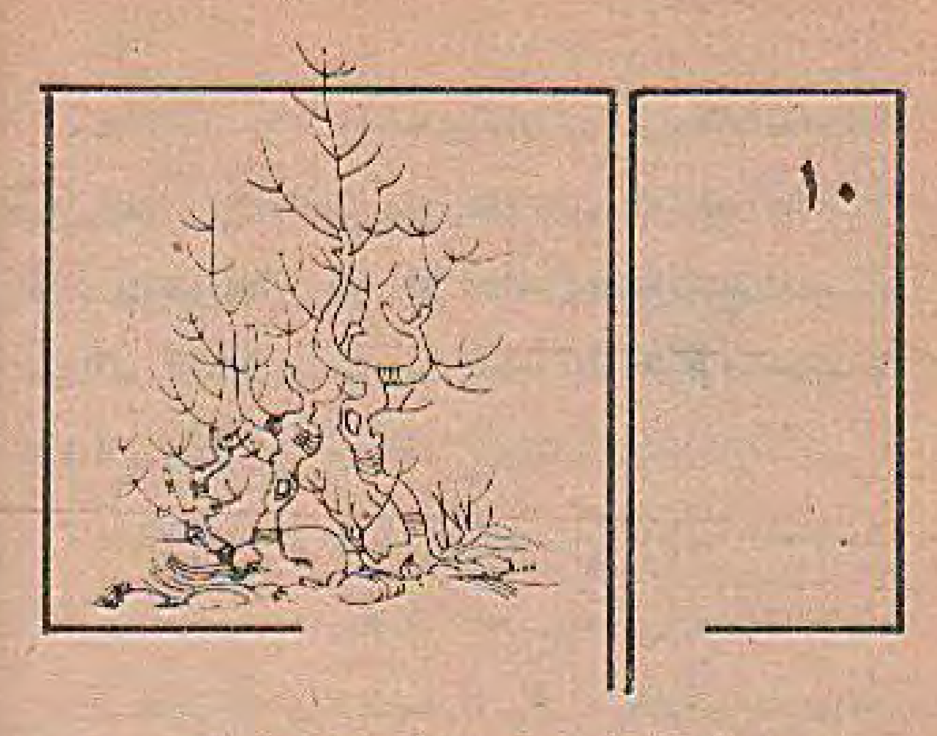
وصمتت لحظة ثم عادت تقول بصوت ضعيف جدا، وبكلمات متقطعة « جيكو .. اعتني بنفسك .. وبتاكي ... جيدا . »

وما اتمت فيدا كلمتها الاخيرة حتى كانت قد اسلمت الروح .

واستمر جيكو واخته يبكيان بجوار جثة امهما طوال الليل . وعند الصباح حفر جيكو لامه قبرا داخل الكهف ودفنها فيه . ثم اخذ اخته وواصلا مسيرتهما عبر الممر العظيم ليبحثا عن عمهما ايلي في العالم الثاني .



١٠



وبعد ان اجتاز جيكو واخته الممر المظلم ، وجـدا نفسيهما في العالم الثاني . وكانت الجبال والسهـول والوديان يكسوها الثلج تماما كما هي الحال فـي قارتهـم .

سالت تاكي جيكو قائلة : « ما الفرق بين هـذا العالم وعالمنا ؟ انظر ان الثلج في كل مكان ، والجـو بنفس البرودة بل اكثر . »

فاجابها جيكو : « معك الحق يا تاكي ، ولكن يجب الا تنسي اننا لانزال في اقصى شـمال العالم الثاني فمن الطبيعي ان تكثر الثلوج ، ويكون الجو باردا جدا . ولكن في المستقبل ، كلما اتجهنا في مسيرتنا نحو الجنوب ، ستقل الثلوج ويزداد الجو دفئا . »

واتجها في رحلتهما الى الجنوب ، وبمرور الايام قل سمك الثلوج وبرودة الجو ، وعندما اجتازا المناطق المرتفعة الجبال ، ووصلا سهول التندرا ، اختفى الثلج تقريبا او اصبح وجوده نادرا ، ولاحظوا ان الارض تكسوها الاعشاب ، وتنتشر في ارجائها بعض النباتات والاشجار ، وصادفتهم الكثير من الحيوانات الجديدة التي لم يسبق لهم ان عرفوها في عالمهم . شاهـدوا الجمل ، والخيول المختلطة ، والماموث ، والنمر السيف النابين .

وكان جيكو يصطاد بعض الحيوانات ليقتـات عليها هو واخته التي تعلمت كيف تسلخ الحيوانـات

وتشويها • وفي احد الايام ، بينما كانا يسيران في احد السهول شعرت تاكي بالعطش ، فقصدت احدى برك الماء التي صادفتهم في الطريق • وبينما كانت تشرب الماء من البركة قدم ماموث ضخم ليشرب الماء من نفس البركة • وما كاد الماموث يرى تاكي حتى هاج ورفع خرطومه الطويل وراح يلوح به وبانيابه المعقوفة الكبيرة ، وهو يطلق صيحات عالية مخيفة • فارتعبت تاكي ، واضطربت ، وسقطت في البركة • وعندما حاولت ان تخرج من الماء ، احست بان قدميها قد التصقت بمادة لزجه في قعر البركة • وكانت كلما حاولت ان تتحرك لتخلص قدميها ، يزداد وضعها سوءا، وينزل جسمها اكثر واكثر في المادة اللزجه •

كانت تلك البركة عبارة عن احدى حفر القار التي تتكون عندما يتسرب النفط من تحت الارض الى السطح ، ويتجمع في برك ، حيث يتحول ببطء الى قار لزج سميك • وعندما تغطي مياه الامطار حفرة القار بطبقة من الماء تحولها الى فخ قاتل ، حيث تقع فيها الحيوانات التي تقصدها لتشرب او تغسل اجسامها فيها ، وتغوص الى اسفل الحفرة حتى يغطيها القار ويقتلها • وعندما يتصلب القار بمرور الزمن يحول بقايا الحيوانات الى ما يسمى بالمستحاثات •

واسرع جيكو الى شجرة قريبة فقطع منها غصن كبير مده الى تاكي وامرها ان تتعلق به بقوة • وعندما تعلقت تاكي بالغصن بدأ جيكو بسحبها من البركة الى الخارج • واما الماموث الهائج فقد ازداد هياجه عندما رأى جيكو وهو يمسك بيده الغصن ، ظنا منه انه كان يقصد ايذاءه او صيده ، وهجم عليه وقد نكس نابيه المعقوفين الى الاسفل ليطعنه بهما ، ولكنه ما كاد ينزل الى البركة حتى بدأت قوائمه الطويلة تغوص في القار اللزج حتى اصبح اسيرا ليس في مقدوره العراك • وبدأ جسمه الضخم الثقيل يغوص في القار شيئا فشيئا •

وما كاد جيكو يخرج تاكي من البركة حتى لاحظ ان سربا من طير العقاب والنسر الذهبي ، قد جاءت وحطت على اغصان الشجرة وهي تصيح فرحة ممنية نفسها بوليمة من لحم الماموث · ولكن ما اسرع ان تملك تلك الطيور الجارحة الخوف وتركت اغصان الشجرة وراحت تدور فوق البركة في الجو وهي تصيح من الخوف وذلك عندما رأت نمرا مسيف النابين يهاجم الماموث الاسير وينهش لحمه ·

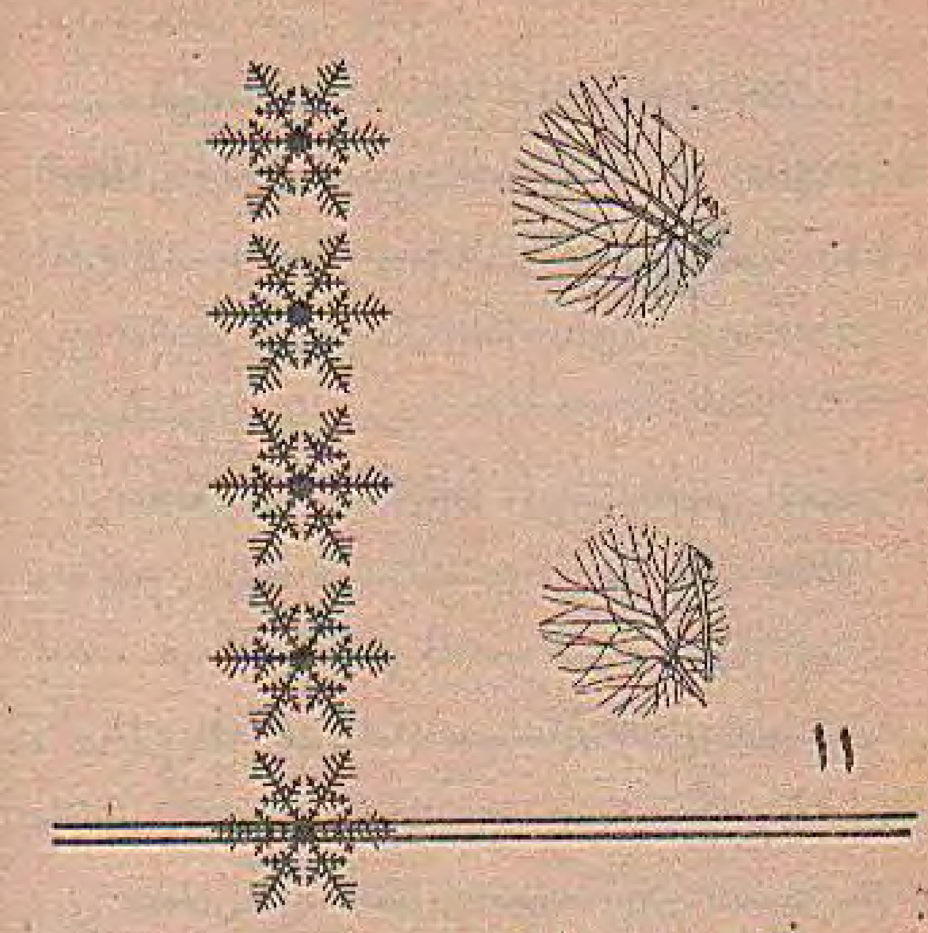
وكان الماموث يطلق صيحة ألم هائلة ، كلما انشب النمر انيابه في جسده وتناول قطعة من لحمه· واختفى جيكو وتاكي خلف احدى الصخور القريبة التي تغطيها النباتات وراحا يراقبان هذا المشهد الرهيب · ولكن ما هي الا لحظات حتى توقف النمر عن افتراس الماموث ، لانه احس بانه قد علق هو الاخر في الفخ، وان قوائمه بدأت تغوص في القار اللزج في قعر الحفرة وبدأ يحاول ان يخلص قوائمه من القار وهو يزأر غاضبا ولكن بدون فائدة ·

وفي الحال جاء قطيع قليل العدد من الذئاب الرهيبة الجائعة ، وهجموا بوحشية على الماموث والنمر الاسيرين ، واخذ بعضهم يقاتل النمر الشرس ، بينما راح بعضهم الاخر ينهش لحم الماموث الذي كان قد لفظ انفاسه ·

وقبل أن تتمكن الذئاب من التغلب على النمر والتهامه ، وقعت هي الاخرى في فخ القار القاتل ، فتخلت عن النمر الذي كان يحتضر والماموث الميت، وانشغلت بتخليص نفسها من القار اللزج الذي بدأ يبتلعها بالتدريج

عندئذ عادت الطيور الجارحة الى اغصان الشجرة ، وبعد ان اطمانت بعض الشيء ، بدأت تنقض الواحدة بعد الاخرى لتنال حصتها من جثث الماموث والنمر والذئاب التي كانت لا تزال حية ، وذلك قبل ان يبتلعها القار الى الابد ·

★ ★ ★



١١

وتابع جيكو واخته مسيرتهما نحو الجنـوب ، فاجتازا سهول التندرا الى منطقة الغابات الصنوبريـــة حيث كانت توجد الحيوانات بوفرة • ولاول مرة فـي حياتهم شاهدوا القندس الضخم وهو يقيم السدودداخل

البحيرات ليبني عليها بيته من اغصان الاشجـار ، ودب السشتا البني اللون وهو يسرق العسل من خلايا النحل في جذوع الاشجار اليابسة ، ذو القرون الاربعة، وهو يرعى ويأم ينابيع المياه وشواطيء البحيراتليشرب بحذر • هذا كما بدءا يصادفان الكثير من الناس الذين كانوا يصطادون الحيوانات في الغابة ، وكانا يسألان كل من يقابلاه عن عمهما ايلي وعائلته ، ولكن بـدون جدوى •

وكان جيكو خلال بحثهما عن عمهما يصطادبعض حيوانات الغابة الصغيرة ليعيشا على لحمها هوواخته تاكي •

وشاءت الاقدار أن يصادفا يوما عائلة كانت قد قابلت عائلة عمهما ايلي وتعرفت عليها • فلما سألهم جيكو عن عمه ، اخبروه بانهم قد قابلوه مع عائلتـه ويعرفون المنطقة التي يقيم فيها •

وتطوع ابن العائلة الاكبر لان يقود جيكو واخته

الى منطقة عمهم · وبعد مسيرة يومين وصلوا الىتلك المنطقة ،فاستقبلهما عمهما ايلي خير استقبال ، وعندما عرف منهما ما جرى لوالدهما ووالدتهما بكى كثيرا . ثم طمأنهما ، ووعد ان يأويهما في كهفه ، ويشرف على تربيتهما ويرعاهما تماما كما لو كانا من اطفاله ·

